

محاضرات في وحدة

مدخل إلى الأدب العربي

ذ. محمد العنوز

الكلية متعددة التخصصات بالرشيدية

مسلك الدراسات العربية

الموسم الجامعي: 2023-2024

محتويات الوحدة

- المحور الأول: تحديدات مفاهيمية

1- السيرة التدلالية لكلمة أدب

2- مفهوم التاريخ

3- مفهوم تاريخ الأدب في التجربة الغربية (سانت بيغ، هيبوليت تين، فرديناند برونيتير، غوستاف لانسون).

4- مفهوم تاريخ الأدب في التجربة العربية (أحمد حسن الزيات، طه حسين، شوقي ضيف، حنا الفاخوري).

5- تقسيمات تاريخ الأدب العربي

- المحور الثاني: دراسة في تاريخ الأدب العربي عبر عصوره المختلفة

1- العصر الجاهلي

1.1- الشعر في العصر الجاهلي: (أ- أولية الشعر الجاهلي. ب- أنواع القصيدة العربية وأغراضها. ج- خصائص الشعر الجاهلي).

2.1- النثر في العصر الجاهلي: (أ- الخطابة. ب- الأمثال. ج- سجع الكهان).

2- العصر الإسلامي

1.2- الشعر في العصر الإسلامي

1.1.2- موقف الإسلام من الشعر: (أ- موقف القرآن. ب- موقف الرسول صلى الله عليه وسلم. ج- موقف الصحابة).

2.2- النثر في العصر الإسلامي: (أ- الخطابة. ب- الرسائل).

3- العصر الأموي

1.3- الشعر في العصر الأموي: (أ- شعر النقائض. ب- شعر الغزل).

2.3- النثر في العصر الأموي: (أ- الخطابة. ب- الرسائل).

3.3 - أهم الأعلام في العصر الأموي

4- العصر العباسي

1.4- الشعر في العصر العباسي: (أ- ازدهار الشعر: أثر السياسة والحضارة في الشعر).

2.4- النثر في العصر العباسي: (أ- الخطابة. ب- الرسائل. ج- المقامة. د- المناظرة).

3.4- أهم الأعلام ومؤلفاتهم في العصر العباسي.

بيبلوغرافيا

- تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف.
- تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري.
- تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات.
- الجامع في تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري.
- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي.
- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة عبد الحميد النجار.
- المدخل إلى دراسة التاريخ والأدب العربيين، نجيب محمد البهيتي.
- تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، نجيب محمد البهيتي.
- أبو العباس المفضل بن محمد الضبي (1920): المفضليات للأنباري (ديوان المفضليات).
- الأصمعي، عبد الملك بن قريب (1953) فحولة الشعراء.
- الجاحظ، أبو عمرو عثمان بن بحر: البيان والتبيين.
- زكي مبارك: النثر الفني. مجموعة من الدواوين (المعلقات...).

- المحور الأول: تحديدات مفاهيمية

1- السيرة التدللية لكلمة أدب

تعتبر كلمة أدب من الكلمات التي تطور معناها عبر التاريخ العربي، حيث انتقلت من الوظيفة البدوية إلى الوظيفة المدنية والحضارية، مما جعل معانيها تتعدد حتى وإن تقاربت، لتستقر دلالتها في أذهاننا اليوم، -حسب شوقي ضيف¹-: بمعنى الكلام الإنشائي البليغ الذي يقصد به التأثير في عواطف القراء والسامعين سواء أكان شعرا أم نثرا. انطلاقا من هنا نتساءل عن مدلول كلمة "أدب" خلال العصور الأدبية المختلفة؟

أ- معنى كلمة أدب في العصر الجاهلي: لا نعثر في شعر هذا العصر على كلمة أدب، وإنما نجد كلمة أدب بمعنى الداعي إلى الطعام أو المأدبة التي تعني الطعام الذي يدعى إليه الناس، وقد اشتقوا من هذا المعنى أدبٌ يأدُبُ بمعنى صنع مأدبة أو دعا إليها، وهذا ما أكدته ابن منظور بقوله " أدب القوم يأدبهم أدبا، إذا دعاهم إلى طعام يتخذونه" ومنه قول الشاعر طرفة بن العبد:

نحن في المشتاة ندعو الجفلى ***** لا ترى الآدب فينا ينتقر

كما نجد كلمة أدب تدل أيضا، على حسن الأخلاق والطبع القويم والمعاملة الكريمة للناس، إذ من المعروف أن إقامة المآدب ودعوة الناس إليها، يستدعي كرما وسخاء وظرفا ولين الأخلاق. ويذهب المستشرق الإيطالي نالينو إلى أنّ كلمة "أدب" استخدمت في الجاهلية بمعنى الدأب وهي كلمة مفردة ورد ذكرها في القرآن بمعنى العادة والسنة والمنزلة وسيرة الآباء²، وقد افترض نالينو أنها قلبت من دأب إلى أدب بعد جمعها على آداب بالطريقة نفسها التي جمعوا بها بئرا على آبار ورأيا على آراء، ثم رجعوا فتوهّموا أن آدبا جمع أدب وليس دأب، فتداولت في لسانهم كما تداولت كلمة دأب بمعنى السنة والسيرة، ثم أصبحوا يدلون بها على محاسن الأخلاق والشيم³.

ب- معنى كلمة أدب في العصر الإسلامي: لما جاء الإسلام بقيمه الروحية والعقلية والاجتماعية والإنسانية ووضعت أصول الآداب وأجمع المسلمون على أن الدين الإسلامي أخلاق يتخلق بها، تطور مدلول كلمة "أدب" حيث أصبحت تستعمل بالمعنى التهذيبي الخلقي، وينقل كثير من الدارسين قول الرسول صلى الله عليه وسلم

¹ - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، ط. 33، القاهرة، 2013، ص. 7.

² - قال تعالى: (تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سَبِيلِهِ إِلَّا قَلِيلًا يِمَّا تَأْكُلُونَ) سورة يوسف الآية: 47. وقوله سبحانه: (وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَخْزَابِ. مِثْلَ دَأَبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ) سورة غافر الآية: 30-31).

³ - انظر شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، مرجع سابق، ص. 8.

(أدبني ربي فأحسن تأديبي) -وهو حديث لا أصل له¹ - فالمقصود بالأدب هنا مكارم الأخلاق، وهو المعنى نفسه الذي نجده عند الشاعر المخضرم سهم بن حنظلة الغنوي في قوله:

لا يمنغ الناس مني ما أردت ولا ***** أعطيهم ما أرادوا حُسْنَ ذا أدبا

ج- معنى كلمة أدب في العصر الأموي: استعملت الكلمة بالمعنى الخلفي التهذيبي، وأضيف إليه معنى آخر تعليمي، إذ ظهرت طائفة من المعلمين تدعى بالمؤدبين، كانوا يعلمون أبناء الخلفاء ويلقنونهم الثقافة الإسلامية والعربية ومختلف المعارف السائدة في هذا العصر عن طريق الرواية، كالشعر والخطابة وأخبار العرب وأنسابهم وأيامهم في الجاهلية والإسلام، وهو توسع جديد في مدلول الأدب.

وعليه، أضحت كلمة الأدب بهذا المعنى، تستخدم كمقابل لكلمة العلم الذي كان حينئذ يطلق على الشريعة الإسلامية وما يرتبط بها من دراسة الفقه والحديث النبوي وتفسير القرآن الكريم².

د- معنى كلمة أدب في العصر العباسي: استخدمت كلمة أدب خلال هذا العصر بالمعنيين التهذيبي والتعليمي، وقد سمى ابن المقفع رسالتين له تتناولان ضروباً من الحكم والنصائح الخلقية والسياسية باسم: "الأدب الصغير" و"الأدب الكبير" وبالمعنى نفسه سمى أبو تمام الباب الثالث من ديوانه الشعري "الحماسة" باسم "باب الأدب"، جمع فيه مختارات من طرائف الشعر وكذلك وضع البخاري في كتابه "الجامع الصحيح" باب الأدب.

أما في القرنين الثاني والثالث للهجرة وما بعدهما ، فقد كانت الكلمة تطلق على معرفة أشعار العرب وأخبارهم، وقد ألقت كتب كثيرة بهذا المعنى سموها كتب أدب، نذكر منها البيان والتبيين للجاحظ، وعيون الأخبار لابن قتيبة، والعقد الفريد لابن عبد ربه، والكامل في اللغة والأدب للمبرّد.

وقد توسع استعمال الكلمة فيما بعد، ليتجاوز المعنى التعليمي المرتبط بالشعر والنثر وما يتصل بهما، إلى معاني أخرى تشمل كل المعارف غير الدينية التي ترقى بالإنسان من جانبيه الاجتماعي والثقافي. وبهذا المعنى الواسع نجد إخوان الصفا في رسائلهم³ خلال القرن الرابع الهجري، قد دلوا بها إلى جانب علوم اللغة والبلاغة والتاريخ والأخبار، على علوم الحساب والكيمياء والسحر والمعاملات والتجارة.

¹ - انظر ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ط. القاهرة، ص. 3.

² - انظر شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، مرجع سابق، ص. 8.

³ - انظر رسائل إخوان الصفا، الرسالة السابعة من القسم الرياضي.

وفي هذه المرحلة المتأخرة -خلال القرن الثامن الهجري- نجد تعريف ابن خلدون للأدب يشمل مختلف المعارف الدينية وغير الدينية وكل أشكال المعرفة خاصة علوم اللغة والبلاغة وهذا ما أكدته بقوله "الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارهم والأخذ من كل علم بطرف"¹. وهو معنى قريب لمفهوم الأدب حالياً.

هـ- معنى كلمة أدب في العصر الحديث: يتحدث شوقي ضيف عن معنيين لكلمة أدب خلال القرن التاسع عشر: معنى عام يقابل الكلمة الأجنبية Littérature والتي تطلق على كل ما يكتب في اللغة كيفما كان موضوعه وأسلوبه، سواء كان علماً أو فلسفة أو أدباً خالصاً، فكل ما ينتجه العقل والشعور يعد أدباً، ومعنى خاص يقصد به الأدب الخالص الذي لا يراد به مجرد التعبير عن معنى من المعاني، بل يراد به أن يكون جميلاً بديعاً يؤثر في عواطف القارئ والسامع على نحو ما هو معروف في صناعتي الشعر وفنون النثر الأدبية كالخطابة والأمثال والقصص والمسرحيات والمقامات².

أو بتعبير آخر يعرف الأدب -حسب شوقي ضيف- بأنه الكلام الإنشائي البليغ الذي يقصد به التأثير في عواطف القراء والسامعين سواء أكان شعراً أم نثراً.

2- مفهوم التاريخ

أ- التاريخ لغة

التاريخ من التأريخ والتويرخ وهي مصطلحات مأخوذة من الجذر اللغوي "أرخ" والتي تشترك معه في الدلالة على تعريف الوقت. ويقال تاريخ الشيء غايته ووقته الذي ينتهي إليه، والتأريخ هو دراسة الزمن والحدث في الماضي والتاريخ هو الحدث والزمن نفسه³.

ب - التاريخ اصطلاحاً

التاريخ هو العلم الذي يهتم بتحليل وفهم الأحداث التي وقعت في تاريخ ما ويبحث عن أسبابها، حيث يعتمد على منهج يقوم على وصف وتسجيل مختلف الوقائع والأحداث التي جرت في زمن معين، فيحللها ويفسرهما اعتماداً على مبادئ علمية دقيقة وصارمة، هدفها أو غايتها الوصول إلى نتائج حقيقية تعين على إدراك وفهم الزمن الماضي والحاضر والتنبؤ بالمستقبل. أو بتعبير آخر، هو تسجيل ووصف وتحليل الأحداث التي جرت في الماضي، على أسس علمية محايدة، للوصول إلى حقائق وقواعد تساعد على فهم الحاضر والتخطيط للمستقبل.

¹ - انظر مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، المكتبة العصرية، ج1، 2004، ص.21، نقلاً عن مقدمة ابن خلدون.

² - انظر شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، مرجع سابق، ص. 10.

³ - انظر ابن منظور، لسان العرب، مادة "أرخ" ج.1، ص.84-85.

في هذا السياق، يقول ابن خلدون في مقدمته:

"أما بعد فإن فنَّ التاريخ من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال، وتُشَدُّ إليها الركائب والرحال، وتسمو إلى معرفته السؤفة والأغفال، وتتنافس فيه الملوك والأقبيال (أي الرؤساء)، ويتساوى في فهمه العلماء والجهال، إذ هو في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأول، تنمو فيها الأقوال، وتضرب فيها الأمثال، وتُطَرَّفُ بها الأندية إذا غصَّها الاحتفال، وتُؤَدِّي إلينا شأن الخليفة كيف تقلَّبت بها الأحوال، واتسع للدول فيها النطاق والمجال، وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال، وحان منهم الزوال، وفي باطنه نظرٌ وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبانيها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق وجدير بأن يعد في علومها وخليق"¹.

يوضح ابن خلدون أن الوقائع التاريخية لا تحدث بمحض الصدفة أو بسبب قوى خارجية مجهولة، بل هي نتيجة عوامل كامنة داخل المجتمعات الإنسانية، لذلك انطلق في دراسته للأحداث التاريخية من الحركة الباطنية الجوهرية للتاريخ، فعلم التاريخ وإن كان لا يزيد في ظاهره عن أخبار الأيام والدول، فهو في باطنه تأمل ودراسة وفحص لمختلف أوجه النشاط البشري فيما مضى من العصور؛ بقصد رصد أسباب الظواهر التاريخية المختلفة، ومحاولة كشف جوانب العلاقة السببية في طيات الأحداث التاريخية، ورصد بدايات الأحداث ومعرفة أصولها.

ويخلص ابن خلدون من هذا إلى أن التاريخ أصيلٌ في الحكمة وعريقٌ، ولما كانت الحكمة أسمى مراتب المعرفة، فإنَّ ابن خلدون قد فهم التاريخ باعتباره ضرورةً حضاريَّةً لفهم الإنسان من خلال تاريخه، والتاريخ بهذا المفهوم، يُعتبر استكشافاً كلياً لتطوُّر أحوال البشريَّة منذ بداية الخليفة، ومحاولة لحلِّ اللغز المتعلِّق بالوجود البشري في الكون، فضلاً عن مصير الإنسان في الحاضر والمستقبل.

وعليه، فالتاريخ يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم، وذلك بهدف أن تعم الفائدة بهم في الدين والدنيا.

3- مفهوم تاريخ الأدب في التجربة الغربية (سانت بيف، هيبوليت تين، فرديناند برونيتير، غوستاف لانسون).

بعدما سيطرت العلوم الطبيعية والتجريبية في القرن التاسع عشر على العقول الغربية، تعالت صيحات بعض المؤرخين بضرورة تطبيق مناهجها وقواعدها على الدراسات الأدبية، فعملوا على وضع قوانين للأدب على شاكلة قوانين الطبيعة.

¹ -عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلمية، ط. التاسعة، بيروت، 2006، ص.3.

أ- سانت بيف (Sainte-Beuve): ركز على شخصيات الأدباء من جميع النواحي، ودعا إلى تتبع حياتهم المادية والمعنوية ومؤثراتها (الشخصية، الحالة المادية، العقلية، الأخلاق، العادات، الأذواق،)، الأمر الذي يساعد على معرفة ما ينفرد به الأديب عن غيره من الأدباء وما يشترك فيه معهم، فإذا تبيننا ذلك، نستطيع أن نصنف الأدباء في طبقات وفصائل على أساس ما نجده بين الأديب وفصيلته من تشابه، وهو تشابه نستخلصه من قوانين الأدب العلمية وما يختص به أصحاب كل فصيلة من مميزات وصفات، على نحو ما يقوم به علماء النبات إذ يرتبونه في أنواع وفصائل نباتية مختلفة.

ب- هيبوليت تين (Hippolyte Taine): يرى الناقد الفرنسي تين، أن هناك قوانين ثلاثة يخضع لها أدب كل أمة، وهي العرق والبيئة والعصر، وعليه، فأدباء كل أمة مجبرون على الخضوع لهذه القوانين:

أ- العرق أو الجنس: يقصد به جميع الخصائص أو المميزات الفطرية والوراثية التي يشترك فيها أفراد الأمة الواحدة المنحدرة من جنس معين.

ب- المكان (أو البيئة): المراد به الفضاء الجغرافي وانعكاساته الاجتماعية في النص الأدبي.

ج- العصر أو الزمان: أي كل الأحداث والظروف الدينية والاقتصادية والسياسية والثقافية التي يمكن أن تؤثر على النص.

وعليه، فهذه هي مؤثرات الأدب وقوانينه التي تطبع الأدباء بطوابعها الدقيقة. لكن لاحظ مؤرخو الأدب ونقادهم أن "تين" تجاهل شخصيات الأدباء وتفردا وعبقريتها وأصالتها، ولو كانت هذه القوانين صحيحة، لكان كل أديب صورة مطابقة للأدباء الآخرين، ولما تميز أديب عن غيره، فالواقع يثبت عكس ذلك، فلكل أديب شخصيته التي تجعل منه أديبا بعينه له مقوماته.

لكن "تين" قد تدارك تلك الملاحظة عندما أشاد بعبقرية شكسبير في مقدمة كتابه عن الأدب الإنجليزي، حيث يرى أنه من الضروري إدخال عامل آخر، وهو عامل الموهبة الفردية وعبقرية الأشخاص في حساب الناقد والدارس للإبداع الأدبي¹.

ج- فرديناند برونيتير (Ferdinand Brunetière): آمن بنظرية التطور ونشوء الكائنات العضوية وارتقاها الداروينية، فاعتبر الأنواع الأدبية (المسرح والنقد الأدبي والشعر)، بمثابة كائنات عضوية متطورة، فالآداب في نظره تنقسم إلى فصائل أدبية، مثلما هو الحال مع الكائنات الحية، تنمو وتتكاثر فتتطور من البسيط إلى المركب خلال أزمنة متعاقبة، حتى تصل إلى مرحلة النضج والتي قد تنتهي عندها وتنقرض، مثلما هو الحال مع بعض الفصائل الحيوانية. فمثلا الشعر الغنائي الرومانسي في القرن التاسع عشر تولى عن الوعظ الديني الذي شاع بفرنسا خلال القرن نفسه.

¹ - انظر صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، أفريقيا الشرق، ط.2، الدار البيضاء، 2013، ص.30-31.

انطلاقاً مما سبق، يتضح أن هؤلاء المؤرخين خلال القرن التاسع عشر عملوا على إلحاق تاريخ الأدب بالعلوم الطبيعية وطبقوا عليه قواعدها. لكن خلال القرن العشرين هدأت تلك الموجة، حيث أثبتت العلوم الإنسانية أن عالم الإنسان يخضع لقوانين أعمق من القوانين الطبيعية، وأن تاريخ الأدب ينبغي أن لا يلحق بالعلوم الطبيعية وإنما يلحق بالدراسات الإنسانية مثل التاريخ والقانون والسياسة وعلم الاجتماع وعلم النفس،¹.

د- غوستاف لانسون (Gustave Lanson): من أكبر رواد المنهج التاريخي، الذي أصبح يسمى باللانسونية، ففي سنة 1909 ألقى محاضرة بجامعة بروكسيل حول الروح العلمية ومنهج تاريخ الأدب، ثم أتبعها بكتاب حول "منهج البحث في الأدب"، حدد فيه الخطوات الأساس للمنهج التاريخي في دراسة الأدب ونقده والتي أصبحت بمثابة قانون اللانسونية، من خلال تطبيقها على الأدب الفرنسي، وهي كالاتي:

- 1- رفض الحتمية المطلقة في علاقة الأدب بالوقائع التاريخية.
- 2- التحرز من الذاتية المرتبطة بالنقد الانطباعي (وظيفة النقد الانطباعي هي التعبير عن الإحساسات والانفعالات التي يولدها الأثر الأدبي في نفس الناقد. وصار الأخير لا يصدر عن قواعد جاهزة، ولا يرغب في إصدار الأحكام القطعية. يستمتع فقط بلذة القراءة، ويطمح إلى نقل عدوى هذه اللذة- المتعة إلى القارئ).
- 3- الأخذ بروح العلم في التعامل مع النصوص، وشجب التطبيق الآلي لمناهج العلوم على الفن.
- 4- الدعوة إلى دراسة الأدباء وفقاً لانتماؤاتهم وطبقاتهم الاجتماعية، بالنظر إلى تأثير الأدب - على الدوام- بحركة المجتمع ومتغيراته، فالأدب مرآة للمجتمع.

إن المبدأ الأساسي في منهج لانسون يتلخص في "معرفة النصوص الأدبية ومقارنة بعضها ببعض لتمييز الفردي من الجماعي والأصيل من التقليدي، وجمعها في أنواع ومدارس وحركات، ثم تحديد العلاقة بين هذه المجموعات وبين الحياة العقلية والأخلاقية والاجتماعية في بلادنا وخارج بلادنا بالنسبة لنمو الآداب والحضارة الأوربية"².

فلا جرم أن يستدعي تحليل أي نص من النصوص - حسب لانسون- الإجابة عن مجموعة من التساؤلات لخصها فيما يلي:³

- 1- هل النص نسبته صحيحة؟ أم النص منسوب لغير صاحبه أم منتحل بأكمله؟
- 2- هل النص نقي كامل لا يعتريه تشويه؟
- 3- ما هو تاريخ النص؟ (تاريخ التأليف والنشر والأجزاء).
- 4- ما هي التغييرات التي لحقت النص في طبعاته المختلفة؟ وما هي الدلالات التي تنطوي عليها تلك التغييرات؟

¹ - انظر شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، مرجع سابق، ص. 12-13.

² - غوستاف لانسون، منهج البحث في الأدب، ص. 23-24.

³ - المرجع نفسه، ص. 73-74.

- 5- ما هي المراحل المتباعدة التي قطعها النص منذ أول تسويده حتى مرحلة الطبع؟
- 6- ما المعنى الحرفي للنص؟ (على مستوى الرموز اللغوية والتراكيب، ثم معاني الجمل لإيضاح العلاقات الغامضة والإشارات التاريخية أو الإشارات التي تتصل بحياة الكاتب نفسه).
- 7- ما المعنى الأدبي للنص؟ بإبراز ما يشتمل عليه من قيم عقلية وعاطفية وفنية.
- 8- ما هي الملابس التاريخية والنفسية التي عبر عنها النص؟
- 9- أي نجاح حققه المؤلف وأي تأثير كان له؟
- 4- مفهوم تاريخ الأدب في التجربة العربية (أحمد حسن الزيات، شوقي ضيف، حنا الفاخوري، طه حسين).

أ- أحمد حسن الزيات

يرى الزيات أن لمفهوم تاريخ الأدب معنيين اثنين: أولها خاص، يقصد به العلم الذي يبحث عن أحوال اللغة وما أنتجه أبنائها من شعر ونثر في مختلف العصور، وما أصابه من تطور أو ضعف، وأسبابه وعلله ونتائجه. وثانيهما، عام: يقصد به الوصف الكرونولوجي لما دون في الكتب وسجل في الصحف ونقش في الأحجار، فيدخل فيه من نبغ من العلماء والحكماء والمؤلفين وبيان مشاربهم ومذاهبهم وتقدير مكانتهم في الفن الذي تعاطوه، ليظهر من كل ذلك تقدم العلوم كلها أو تأخرها¹.

ب- شوقي ضيف

يرى شوقي ضيف أن تاريخ الأدب لأمة من الأمم، إما أن يلتزم فيه المؤرخ بالمعنى العام لكلمة أدب؛ فيؤرخ للحياة العقلية والشعورية في الأمة تاريخاً عاماً، وإما أن يلتزم بالمعنى الخاص، فيؤرخ للشعراء والكتاب تاريخاً خاصاً بالأدب ونشأته وتطوره وأهم أعلامه، ولعل أهم من أرخوا لأدبنا بالمعنى الأول كارل بروكلمان في كتابه "تاريخ الأدب العربي" ونسج على منواله جورج زيدان في كتابه المسمى بـ "تاريخ آداب اللغة العربية". ونراها يعرضان لتاريخ الحياة الأدبية والعقلية عند العرب في نشأتها وتطورها مع الترجمة للفلاسفة والعلماء من كل صنف، والشعراء والكتاب من كل نوع.

ومؤرخ الأدب العربي إما أن ينهج هذا النهج الواسع، وإما أن ينهج النهج الثاني الذي أشرنا إليه؛ فيقف بتاريخه عند الشعراء والكتاب مفصلاً الحديث في شخصياتهم الأدبية وما أثر فيها من مؤثرات اجتماعية واقتصادية ودينية وسياسية، ومتوسّعاً في بيان الاتجاهات والمذاهب الأدبية التي شاعت في كل عصر².

¹ - أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية والعلما، دار المعرفة، ط. 12، بيروت، 2009، ص. 7-8.

² - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، مرجع سابق، ص. 11.

ج- حنا الفاخوري

تاريخ الأدب حسب الفاخوري هو العلم أو الفن الذي يصف آداب العصور المختلفة ويقوم بترتيبها وتعليلها، متناولا الأدب الإنشائي (المنظوم والمنثور) مبينا أطواره، باحثا في ما عراه من قوة وضعف ورقي وانحطاط، رابطا اللاحق بالسابق، ورادا كل شيء إلى أسبابه¹.
انطلاقا مما سبق، فإن تاريخ الأدب هو العلم أو الفن الذي يبحث عن أحوال الأدب في مختلف عصوره، وما أصابه من قوة أو ضعف، وأسبابه وعلله ونتائجه، كما يدرس الأنواع الأدبية من شعر وقصة ومسرحية وأرجوزة وموشحات...

وتتجلى قيمة تاريخ الأدب في أمرين:

- أمر تاريخي: وهو معرفة تطور الأدب حسب العصور والأسباب المؤثرة فيه.
- أمر خاص: يسهل على طلاب العلم فهم درس الأدب والتعمق فيه.

د- طه حسين

تاريخ الأدب حسب طه حسين، هو قديم متصل بالزمان والمكان والبيئة والجماعة، متأثر بكل المؤثرات التي تؤثر في الحياة الإنسانية كلها، فهو يتغير ويتطور ويتقدم ويتأخر ويرقى وينحط، إنه تجديد وإصلاح لما تركه القدماء².

كما يؤكد طه حسين على ضرورة استقلال تاريخ الأدب عن الأدب، أي على ضرورة نشوء فرع خاص بتاريخ الآداب لا يكون أدبا كله وإنما يكون علما وفنا في الوقت نفسه. أو بتعبير آخر، لا بد من:

- استقلال الدراسة الأدبية؛

- أن يكون العلم والذوق الفني هما أساس الدراسة الأدبية تاريخيا ونقديا.

وعليه، يحدد طه حسين المقياس اللازم لدراسة التاريخ والنقد الأدبي والذي ينسجم مع استقلال الدراسة الأدبية ومع تمازج العلم والذوق. حيث يستعرض بدايةً مختلف المقاييس التي يطرحها مؤرخو الأدب وهي: المقياس السياسي الذي يربط العصور الأدبية بعصور السياسة، والمقياس العلمي أي البحث الذي يجعل دراسة الأدب ضربا من دراسة العلوم الطبيعية أو التجريبية، ثم أخيرا المقياس الأدبي، وهو الذي يتبناه طه حسين ويعتبره أكثر المقاييس ملاءمة لطبيعة الآداب. وهنا يقول:

"إن تاريخ الآداب يجب أن يجتنب الإغراق في العلم كما يجب أن يجتنب الإغراق في الفن، وأن يتخذ بين الأمرين سبيلا وسطا"³. فتاريخ الأدب حين تقرأه تجد فيه، لذة العقل ولذة الشعور والذوق جميعا.

¹ - حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، دار اليوسف للطباعة والنشر، بيروت، ص. 37.

² - طه حسين، في الأدب الجاهلي، مطبعة فاروق، ط. 2، القاهرة، 1933 ص. 33.

³ - المرجع نفسه، ص. 47.

5- تقسيمات تاريخ الأدب العربي

درج مؤرخو الأدب العربي على تقسيمه إلى عصور، نظرا لصلته الوثيقة بالتاريخ السياسي والاجتماعي لكل أمة، إنهما متلازمان يؤثر أحدهما في الآخر، فكل ثورة سياسية أو نهضة اجتماعية، تمهد لها ثورة فكرية تظهر أولا على ألسنة الشعراء وأقلام العلماء، ثم ينتقل تأثيرهم وتطورهم إلى باقي الناس عن طريق الخطابة والكتابة، فتكون الثورة أو النهضة.

إلا أن من أشهر تقسيمات الأدب و أكثرها استعمالاً من قبل الدارسين، طريقتين:

أ- الطريقة الأولى: التقسيم الزمني:

ظهرت فكرة تقسيم الأدب زمنياً، في العصر الحديث. مستمدة في أغلبها من الدراسات الغربية، فقد قُسم الأدب العربي تقسيماً تاريخياً مرتبطاً بالدولة أو الحقبة الزمنية التي يقصدها، ومن أمثلة ذلك تقسيم د. شوقي ضيف للأدب العربي في كتابه (تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي)، ود. أحمد حسن الزيات في كتابه (تاريخ الأدب العربي)، حيث قسّم شوقي ضيف الأدب إلى أربعة عصور وهي¹:

1- العصر الجاهلي: أو ما قبل الإسلام، وهو تلك الفترة التي حُددها بمائة و خمسين عاماً قبل الإسلام وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائي عام.

2- العصر الإسلامي: منذ بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى سقوط الدولة الأموية 132هـ/750م وهو التاريخ الذي تكونت فيه الدولة العربية وتمت الفتوح الإسلامية.

3- العصر العباسي: ويقسّمه إلى قسمين، أولهما العصر العباسي الأول الذي يمتد من قيام الدولة العباسية في عام 132هـ إلى انتهاء خلافة الواثق سنة 232هـ. وثانيهما: العصر العباسي الثاني، و يبدأ من عام 232هـ وينتهي باستيلاء البويهيين على بغداد سنة 334هـ.

4- عصر الدول والإمارات منذ سنة 334هـ حتى العصر الحديث. إذ تفككت أوصال الدولة العباسية وظهرت إمارات وخلافات ودول كثيرة.

أمّا أحمد حسن الزيات، فقد قسّم الأدب إلى خمسة عصور²:

1- العصر الجاهلي، ويتبدئ باستقلال العدنانيين عن اليمانيين في منتصف القرن الخامس الميلادي، وينتهي بظهور الإسلام سنة 622م.

2- عصر صدر الإسلام والدولة الأموية، ويتبدئ مع الإسلام وينتهي بقيام الدولة العباسية سنة 132هـ.

3- العصر العباسي، ويتبدئ بقيام دولتهم ومنتهاه سقوط بغداد في أيدي التتار سنة 656هـ.

4- العصر التركي، ويتبدئ بسقوط بغداد وينتهي عند النهضة الحديثة سنة 1220هـ.

¹ - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، مرجع سابق، ص. 14-15.

² - أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، مرجع سابق، ص. 8.

5- العصر الحديث، ويبدأ باستيلاء محمد علي على مصر ولا يزال.

في حين قسّم حنا الفاخوري الأدب بدوره إلى خمسة عصور¹:

- 1- العهد الجاهلي، (475-622) من أواخر القرن الخامس إلى ظهور الإسلام.
- 2- العهد الراشدي والأموي (622-755م/1-132هـ)، والعهدان يشملان النهضة الأولى.
- 3- العهد العباسي (750-1258م/132-656هـ)، يشمل عهد بني العباس في الشرق وعهد بني أمية في الغرب (الأندلس)، ويشمل في عهد بني العباس دولتهم في بغداد، وحكم الدول المستقلة في العراق وفارس وخرسان ومصر والشام... وينتهي بسقوط بغداد في أيدي التتار.
- 4- العهد التركي، (1258-1798م/656-1213هـ)، وهو ما يدعى "عهد الانحطاط" ويشمل حكم المغول والمماليك والعثمانيين وينتهي بقدوم الحملة الفرنسية إلى مصر.
- 5- عهد النهضة، الذي يمتد خصوصاً من أواخر القرن الثامن عشر إلى اليوم.

ب- الطريقة الثانية: التقسيم الفني:

نقصد به تقسيم الأدب باعتبار فنونه إلى قسمين رئيسيين هما الشعر و النثر. وهذا التقسيم هو التقسيم الأشهر والأكثر رسوخاً في الذهنية العربية. فالنثر المقصود هنا هو النثر الفني، كالخطب والمقامات والرسائل والقصص والروايات... أمّا الشعر فقد جعله اليونان قبل الميلاد في أربعة أقسام هي (الشعر القصصي) (أو الملحمي)، الشعر التمثيلي، الشعر الغنائي، والشعر التعليمي).

إن دراسة تاريخ الأدب وتقسيمه بحسب العصور والأقاليم له إيجابيات وسلبيات هي كالآتي:

أ- مزايا وإيجابيات تقسيم الأدب إلى عصور وأقاليم:

- يسهل على الباحثين معرفة تطور الأدب بصفة عامة وبحسب كل إقليم.
- يسهل معرفة تطور الأجناس الأدبية في كل إقليم.
- يسهل معرفة الاختلاف بين آداب كل إقليم باختلاف المناخ الفكري والسياسي والظروف الطبيعية.

ب- سلبيات التقسيم إلى عصور وأقاليم:

- هذا التقسيم يجعلنا نظن بأن الأدب في عصر ما هو وحدة مستقلة، وهذا غير صحيح.
- يركز هذا التقسيم على العواصم مثل بغداد ودمشق، وكأنها هي من تمثل أدب العصر.
- إهمال بعض المبدعين الذين عاشوا في المغرب ومصر وإفريقية،،،.

¹ - حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، مرجع سابق، 46.

الخور الثاني: دراسة في تاريخ الأدب العربي خلال عصوره المختلفة

1- العصر الجاهلي

1.1- الشعر في العصر الجاهلي

أ- أولية الشعر الجاهلي (أو قدم الشعر الجاهلي)

كانت الأمم على مر التاريخ، تعتمد في تخليد آثارها وتحصين مناقبها، على أي شكل من الأشكال، وكانت العرب قديماً تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى وهو ديوانها، وعليه فالشعر العربي من الفنون القديمة، يقول شوقي ضيف: "لا ريب في أن المراحل التي قطعها الشعر العربي حتى استوى في صورته الجاهلية غامضة، فليس بين أيدينا أشعار تصور أطواره الأولى. إنما بين أيدينا هذه الصورة التامة لقصائده بتقاليدها الفنية المعقدة في الوزن والقافية وفي المعاني والموضوعات وفي الأساليب والصياغات المحكمة، وهي تقاليد تلقي ستارا صفيقا بيننا وبين طفولة هذا الشعر ونشأته الأولى، فلا نكاد نعرف من ذلك شيئاً"¹.

وقد ورد في ديوان امرئ القيس قوله:

عوجا على الطلل المحيل لأننا \\\ \\\ نبكي الديار كما بكى ابن خدام

فمن هو ابن خدام؟ ومتى بكى الديار؟ لا نعرف عن ذلك شيئاً سوى هذه الإشارة الواردة عند امرئ القيس بأنه أول من بكى الديار ووقف على الأطلال.

لقد حظيت قضية أولية الشعر باهتمام كثير من النقاد منذ القدم، وكل فريق يعرض وجهة نظره، وأدلته على إثبات صحة قوله.

ويذهب البهيتي² إلى أن قدم الشعر الجاهلي، قد يصل إلى ألف سنة قبل الإسلام، ولذلك فهو يرفض ما ذهب إليه الجاحظ لما قال:

"وأما الشعر (يقصد به العربي) فحديث الميلاد، صغير السن، أول من نَحَج سبيله امرؤ القيس بن حُجْر، ومهلل بن ربيعة... فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له إلى أن جاء الإسلام خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام".

فكأن الجاحظ يجعل عمر اليقظة العربية يضرب بين أوائل القرن الخامس الميلادي، وبين منتصفه، وهو أمر لا يقوم، لما تدل عليه جميع الكشوف التاريخية في بلاد العرب. فمدنية العرب أقدم من ذلك بكثير، وحضارتهم في الجنوب والشمال، وفي شرق الجزيرة العربية وغربها، ودولهم أعرق من ذلك بكثير...

إن النمو الطبيعي للقصيدة العربية، أوزانها، وموضوعاتها، واللغة ونحوها وأساليبها وإيجازها، يستدعي أن تكون مرت قبل زمن امرئ القيس بأطوار كثيرة، وتعثرت تعثرات حمة، حتى اكتمل لها هذا الشكل الذي نَجدها

¹ - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، مرجع سابق، ص. 183.

² - نجيب محمد البهيتي، تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، دار الفكر، 1970، -الكتاب الأول العصر الفني القديم- ص. 3-6.

عليه في شعر امرئ القيس ومن سبقه أو جاء بعده. لذلك يخلص البهيتي إلى القول: "ولا ريب أن القصيدة العربية أقدم ميلادا وأعرق نشأة مما صوره الجاحظ ومن ذهب مذهبه من علماء النقد ومؤرخي الأدب"¹.

انطلاقاً مما سبق، يمكن القول إن بداية ظهور الفن بعامه والشعر بخاصة عند الإنسان، قضية موعلة في القدم، لا يمكن الجزم فيها بحكم، ولا سيما أن الأدلة المادية قليلة، أو منعدمة في بعض المواطن، كما أننا أمام حلقة مفقودة من حلقات تطور الشعر الجاهلي، فالبداية الحقيقية لقول الشعر مشوبة بالضبابية والأحكام غير المؤسسة على معايير علمية من شأنها أن تزيل الغموض الذي شاب البدايات الأولى للشعر العربي القديم.

وعليه، فليس من اليسير أن نحدد بداية العصر الجاهلي بصورة يقينية، أو أن نضع أيدينا على أولية الشعر العربي، فليس بين أيدينا وثائق تاريخية أو أدبية تحدد هذه البداية الغامضة، ومن ثمة، نستطيع أن نقول، إن البداية الحقيقية الأولى للشعر الجاهلي مجهولة لدينا، ويدل على ذلك، أن بدايات الشعر الجاهلي التي وصلت إلينا بدايات ناضجة بالضرورة، وعلى مبدأ نظرية النشوء والتطور والارتقاء، فقد سبقت بدورها ببدايات متعثرة لم تنقل إلينا، وساعد على ذلك أن شعراء العرب الأوائل لم يكتبوا أشعارهم، وإنما كانت تنقل عن طريق الرواية الشفوية، والعرب لا ينقلون، أو يروون إلا الشعر الجيد.

ب- أنواع القصيدة العربية وأغراضها

1- أنواع الشعر

اشتهر الغربيون منذ العهد اليوناني بأربعة أنواع شعرية وهي²:

- **الشعر القصصي**: هو الذي يتم فيه نظم القصائد الطويلة التي تمتد إلى آلاف الأبيات، إنه شعر الملاحم، الذي يتخلل فيه الشاعر عن شخصيته، ويتناول الأبطال والجماعات، والوقائع الحربية والمفاخر القومية، بأسلوب قصصي تتوالى فيه الأحداث بشكل متتابع، دقيق ومحكم، تكثر فيه الأساطير والأمور الخارقة كالإلياذة لهوميروس.

- **الشعر التمثيلي**: هو الذي يتناول فيه الشاعر واقعة تاريخية أو خيالية من أحداث البشرية ويجريه على المسرح عبر أشخاص يتصورهم وينطق كلا منهم بما يتناسب وشخصيته وموقعه.

- **الشعر التعليمي**: هو الشعر الذي ينظم فيه الشاعر جملة من المعارف، التي يهدف من خلالها إلى تثقيف العقل والقلب، على نحو ما نعرف عند الشاعر اليوناني هزيبود في قصيدته (الأعمال والأيام) التي يصور فيها فصول السنة والحياة الريفية.

- **الشعر الغنائي**: هو الشعر الذي يتناول فيه الشاعر نفسيته، فيصف في قصائد صغار، مظاهر عواطفه ونزعات قلبه، وخلاصة آرائه وأفكاره، وعصارة تصوراته وتخيلاته في الكائنات المحدقة به.

¹ - نجيب محمد البهيتي، تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، مرجع سابق، ص. 4. 5.

² - انظر أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص. 26-27. وشوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص. 189-194.

وعليه، فالأنواع الشعرية الثلاثة الأولى لم يعرفها الجاهليون، لأن شعرهم عبارة عن قصائد قصيرة لا تتجاوز مائة بيت، وهو يقترب من النوع الرابع الغنائي لدى الغرب، من حيث هو ذاتي، فأصل الشعر العربي غنائي محض، لا يُعنى فيه الشاعر إلا بتصوير نفسه وما يختلجها من أحاسيس وعواطف عندما يطرق أي موضوع من المواضيع الشعرية. يقول حسان بن ثابت:

تغن بالشعر إما كنت قائله ***** إن الغناء لهذا الشعر مضمائر

2- أغراض الشعر الجاهلي

بقي الشعر الجاهلي أسير نزعات ورغبات وأهواء الإنسان في العصر الجاهلي، حيث يمثل نفسية هذا الإنسان وما يخالجه من عواطف وأحاسيس، وعليه¹ نجد من أقدم من حاولوا التمييز بين موضوعات الشعر الجاهلي وأغراضه، الشاعر أبو تمام (توفي سنة 232هـ) في ديوان الحماسة. فقد نظم هذا الاختيار في عشرة أغراض وهي: الحماسة - المراثي - الأدب - النسيب - الهجاء - الأضياف والمديح - الصفات - السير والنعاس - المُلح - مذمة النساء. وتندخل هذه الموضوعات فيما بينها، وقد أغفل باب الاعتذار والعتاب.

كما نلفي قدامة بن جعفر، وزع فن الشعر إلى ست موضوعات هي: المديح، الهجاء، النسيب، المراثي، الوصف، والتشبيه. وحاول بعقله المنطقي أن يرد الشعر إلى بابين أو موضوعين هما المدح والهجاء. انطلاقاً مما سبق، يمكن أن نجمل أهم أغراض وموضوعات الشعر الجاهلي فيما يلي:

أولاً : الفخر والحماسة

يقصد بموضوعات الفخر والحماسة، الفخر بالشجاعة والكرم والصدق والعفاف، من خلال ذكر محاسن الإنسان والاعتزاز بهذه المحاسن. ويرتبط أيضاً بالشعر الذي يتحدث عن تشجيع أفراد القبيلة لقتال العدو، حيث يتطرق الشاعر إلى المثل العليا المتمثلة بالشجاعة، البطولة، وخوض غمار الموت واستهانته بأعدائه.

ثانياً : الهجاء

يرجع ظهور غرض الهجاء في الشعر الجاهلي، بسبب الحروب والمنازعات والعصبيات القبلية. وكانت من أهم مميزاته أنه كان هجاء عفيفاً خال من السبّ والشتم، ويهدف الشاعر من خلاله إلى التقليل من قيمة المهجو ومحاولة نزع القيم الإيجابية عنه، ويعتمد على الصفات السلبية كالبلخل والجبن والغدر والتقاعس عن طلب الثأر والخيانة والفرار من الحرب وكان الشاعر الجاهلي الهجاء يحصل على ما يريد اتقاء لشره.

ثالثاً : الغزل

تميز غرض الغزل بأنه كان عفيفاً وماجناً. ولما كان الحب والعشق شعور ضارب في القدم، فإن الشاعر الجاهلي أحب وعشق فنسجت قريحته ديباجة تحوي أرق الأبيات وأجودها، ولذلك نقول إن الغزل كان عفيفاً في

¹ - شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، مرجع سابق، ص. 195.

بعض جوانبه رفيع المستوى يصوّر حياء وعفاف المرأة، وماجنا في البعض الآخر، فتجد الشاعر يفخر بسهراته الماجنة التي تتغنى بالخمير.

رابعاً: الوصف

يتميز غرض الوصف في الجاهلية بعدة خصائص، من أبرزها: أ- الطّابع الحسيّ / ب- دقّة الملاحظة / ج- صدق النظرة. وقد ارتبط موضوع هذا الغرض بوصف كل ما يحيط بخيمة البدوي من ليل ونجوم وصحراء وجبال وخيل وإبل وأمطار وسهول وأطلال وحل وترحال وغيرها.

خامساً: المدح

كان المدح مقصوراً على الشعراء الذين دخلوا وارتادوا قصور الملوك. وقد امتاز غرض المدح في البداية بالصدق، إضافةً إلى خلوه من المبالغة الممقوتة، فكان الشعراء يكافئون محبة. لكن ظاهرة المدح انتهت تكسباً وبحثاً عن العطايا.

سادساً: الرثاء

ظهر هذا الغرض بسبب كثرة الحروب التي كانت تؤدي إلى قتل الأبطال، والأبناء، ومن ثمة كان الشعراء يرثون قتلاهم، ومن أبرز مميزات غرض الرثاء: أ- صدق العاطفة / ب- رقة الإحساس والبعد عن التهويل والكذب / ج- التحلي بالصبر.

سابعاً: الاعتذار

يعتبر الشاعر النابغة الذبياني مؤسس هذا الغرض. ويرجع سبب خوضه في هذا الفن ما أثارتته ظروف الشاعر.

ثامناً: الحكمة

تأتي الحكمة في بعض أبيات النص، وتمتزج بالإحساس والعاطفة المؤثرة، وقد استقلت الحكمة كغرض من أغراض الشعر الجاهلي، وكانت نتيجة للتجربة والبيئة المحيطة، ولم تكن صادرة عن فلسفة مستقلة، حيث إن الموت والاعتبار به قد أفرز ظاهرة الحكمة عند الشعراء، ولذلك نجد الشاعر زهير بن جناب الكلبي يوصي أولاده بعد أن طال عمره وصايا أبرزها: " الموت مع شيء من العزة والقوة أفضل من الحياة مع الضعف".

ج- خصائص الشعر الجاهلي

1- الخصائص المعنوية

يتسم الشعر الجاهلي بعدة خصائص معنوية يمكن إجمالها فيما يلي¹:

- وضوح المعاني وبساطتها وبعدها عن التكلف والغلو والمغالاة: حيث يتناولون مشاعرهم في قصد دون تكلف، حيث لا يذهبون في تبينها القدر الذي يأخذهم منها إلى الغلو والإفراط.

¹ - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، مرجع سابق، ص. 2019-231.

يقول امرؤ القيس في وصف قلقه وهمه وجزعه وغمه:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي *** بصبح وما الإصباح منك بأمثل

- **النزعة الحسية:** تتجلى في رقة الإحساس بالحياة، وقوة الشعور بالجمال، وتتجسد بشكل كبير في التعلق بوصف جمال المرأة، وفي تبيين مزاياها، وفي الإحساس بها، وفي ما تخلفه من آثار على نفسية الشاعر وحياته، فالقصيدة العربية مهما يكن موضوعها وغرضها تستفتح بالغزل، كما نلفي النزعة الحسية واضحة أيضا في استجلاء الجمال في الطبيعة بكل مظاهرها.

يقول الأعشى في فاتحة معلقته:

وَدَعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرِّكْبَ مَرْتَحِلٌ ***** وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أَيُّهَا الرَّجُلُ

- **الدقة في الوصف:** كان الشاعر يستقي في أخيلته من العالم الحسي المترامي حوله، فكانوا إذا وصفوا شيئا أدقوا النظر في أجزائه، وفصلوا الحديث فيه تفصيلا شديدا، وكأنما يريدون أن ينقلوه إلى قصائدهم بكل دقائقه.

- **شرف المعنى وصحته:** يتعلق الشعر الجاهلي بالواقع تعلقا شديدا، فيجعل التشبيه، صورة منعكسة عن هذا الواقع انعكاسا أصيلا، ويترك له من الدلالة وقوة الأداء عن النفس ما لا سبيل إلى التعبير عنه بسواه من أساليب التعبير.

- **الإيجاز:** وهو صفة من أهم الصفات التي يتصف بها الشعر الجاهلي، حيث نجد قلة اللفظ وتأديته للمعنى الغزير، فالشاعر يكتفي بالبيت عن القصيدة، وبالعبارة القصيرة عن البيت، وباللفظة إن وفيت بالمعنى عن العبارة.

2- الخصائص اللفظية

- **جزالة الألفاظ واستقامتها:** فاللفظ في عمود الشعر ينبغي أن يتوافر فيه شرطان: الجزالة، والاستقامة، فأما جزالة اللفظ فهي قوة فيه ومتانة، جاء في لسان العرب: "الكلام الجزل: القوي الشديد، واللفظ الجزل: خلاف الركيك"¹. ولا يفوتنا ذكر ما اشترطه البلاغيون في فصاحة اللفظ المفرد وكذلك الكلام المركب، فاللفظ ينبغي أن يكون مأنوسا مألوفًا، عذبا على اللسان، غير مبتذل، وأن يكون لفظا عربيا صحيحا لا يخالف قوانين اللغة وغيرها من صفات.

- **متانة التركيب:** من أهم ما يلاحظ على الشعر الجاهلي أنه كامل الصياغة، فالتركيب تامة، ولها رصيد من المدلولات تعبر عنه بشكل مستمر، وهي في الغالب مدلولات حسية، والعبارة تستوفي أداء مدلولها، فلا قصور فيها ولا عجز.

- **مشكلة اللفظ للمعنى:** وقد أشار النقاد القدامى إلى هذه القاعدة أمثال الجاحظ في كتابه البيان والتبيين، حيث يقول حول اللفظ:²، إلا أني أزعم أن سخياف الألفاظ مشاكل لسخياف المعاني وقد يحتاج إلى السخياف في بعض

¹ - ابن منظور، لسان العرب، مادة جزل.

² - الجاحظ، البيان والتبيين، ج.1، ص.145.

المواقع وربما أمتع بأكثر من إمتاع الجزل الفخم من الألفاظ والشريف الكريم من المعاني، ومن باب المشاكلة أن يناسب الكلام مقتضى الحال، وأن يحقق القاعدة (لكل مقام مقال)، فلا يصح مخاطبة رجل الشارع بألفاظ الخاصة والعلماء، كما لا يجوز مخاطبة الخاصة من الناس إلا بما يليق بهم.

- الطبع والبعد عن التكلف في توظيف المحسنات البديعية: كان الشعراء الجاهليون لأجل التأثير في سامعيهم، يستعينون بطائفة من المحسنات اللفظية والمعنوية، منها التشبيه، مثل تشبيههم للمرأة بالشمس وبالبدن، والاستعارة والطباق والجناس، وكلها محسنات.

2.1- النثر في العصر الجاهلي

النثر هو نوع من أنواع الكلام، لا يتقيد بقيود الشعر على مستوى الوزن والقافية. لكنه يعتمد على تنظيم الأفكار وعرضها في قالب جميل جذاب مع سبك صياغتها وفصاحة أسلوبها، بغية التأثير في عواطف القراء والسماعين. وهو نوعان إما مسجّع أو مرسل. وقد ذهب مؤرخو الأدب مذاهب متباينة في تحديد تاريخ ظهور النثر الفني عند العرب، فهناك من يقول إن النثر الفني لم يظهر عند العرب في الجاهلية، حتى أقره عبد الحميد الكاتب وابن المقفع. ويرجعون ذلك إلى كون الحياة الجاهلية، حياة بدائية لا يمكنها أن توجد هذا النثر الذي يعتمد لغة العقل، إضافة إلى قلة الوثائق التاريخية والأدبية عن ذلك العصر للحكم بحكم ما، فالعديد منها موضع شك لتسرب الانتحال والوضع إليها. حيث تأخرت عملية التدوين حتى العصر العباسي الأول.

وهناك فريق آخر من الباحثين يرى أن العرب في الجاهلية عرفوا هذا الفن وطرقوا بابه، فالنثر كان موجودا عند مجموعة من الأمم كالفرس والهنود واليونان، منذ خمسة قرون قبل الميلاد، فلا يعقل ألا يكون للعرب نثر في قبل الميلاد بخمسة قرون، إضافة إلى ذلك، نجد القرآن في بلاغته كان يخاطب قوما يفهمونه ويتذوقونه، وفهم القرآن وتذوقه لا يمكن أن يقع اتفاقا وبلا استعداد، بل لابد أن تكون عند الأمم التي سمعته وتأثرت به واعتنقت دينه ثقافة أدبية خاصة. وإن عدم وصول نماذج صحيحة عن ذلك العصر ليس دليلا على جهل العرب بهذا الفن.

يبدو أن الفريق الثاني أقرب إلى الصحة والموضوعية، فاليئة العربية القديمة، هي منشأ البلاغة والفصاحة، فقد كان عرب البادية يحكمون بصواب القول من خطئه عند النحويين والبلغاء. لذلك نجد مجموعة من الفنون النثرية الجاهلية نقلت إلينا من أبرزها الخطابة والأمثال وسجع الكهان، ويتميز النثر الجاهلي بمجموعة من الخصائص أهمها:¹ - جريانه مع الطبع، فليس فيه تكلف ولا زخرف ولا غلو، يعكس أخلاق البدوي وبيئته. - قوي اللفظ. - متين التركيب. - قصير الجملة. - موجز الأسلوب. - قريب الإشارة. - قليل الاستعارة. - سطحيّ الفكرة.

¹ - أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، مرجع سابق، ص. 18-19.

أ- الخطابة

الخطابة من أهم فنون النثر الجاهلية، نظرا للدور الرئيس الذي تلعبه في بيئة اشتدت فيها الخصومات والمنازعات، فما أن تقرع طبول الحرب وتتعالى أشرعتها أو يشتعل التنافس والتفاخر فيها، حتى تجد صوت الخطيب يصدر عاليا، فهو لسان القبيلة في حربها وسلمها وفي سرائها وضرائها، فلا عجب أن يلجأ إليها العربي، تعينه في ذلك ملكة البيان وفصاحة اللسان والتمكن من فن القول.

كانت أهم موضوعات الخطابة في العصر الجاهلي بالنسبة للقبائل البدوية تدور حول المفازات والأنساب والمنافرات والمصاهرات والوعظ والإرشاد والتحريض على القتال وإصلاح ذات البين. فكانت كل قبيلة تحرص على أن يكون لها خطيب يشد أزرها وشاعر يرفع ذكرها.

أما أسلوبها "فكان رائع اللفظ خلاب العبارة واضح المنهج، قصير السجع، كثير الأمثال، وهم إلى قصارها أميل لتكون أعلق بالصدور وأذيع. ومن عاداتهم فيها الوقوف على نشز من الأرض أو القيام على ظهر دابة، ورفع اليد ووضعها والاستعانة على العبارة بالإشارة واتخاذ المخاصر بأيديهم والاعتماد على الصفاح والرماح أو الإشارة بها"¹.

تبدو بنية الخطبة الجاهلية وكأنها مجموعة من الحكم والجميل مع القليل من الترابط والوشائج، حيث يعتمد الخطيب إلى مباشرة الموضوع دون ترتيب الأفكار أو استقصائها. ومن أشهر خطبائهم في هذا العصر نذكر قيس بن ساعدة الأيادي، وأكثم بن صيفي التميمي، وعمرو بن كلثوم التغلبي، والحارث بن عباد البكري، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي، وقيس بن زهير العبسي.

ومن نماذج تلك الخطب، نذكر خطبة قيس بن ساعدة في سوق عكاظ "أيها الناس! اسمعوا وعوا، إنه من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت. ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهري، وبحار تزخر، وجبال مرساة، وأرض مدحاة، وأنهار مجرة. إن في السماء لخبرا، وإن في الأرض لعبرا. ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون؟ أرضوا فأقاموا؟ أم تركوا فناموا؟ يا معشر إياد، أين الآباء والأجداد؟ وأين الفراعنة الشداد؟ ألم يكونوا أكثر منكم مالا وأطول أجالا؟ طحنهم الدهر بكلكله، ومزقهم بتطاولة"².

ب- الأمثال

تعد الأمثال أبرز الفنون النثرية الجاهلية بعد الخطابة، إنها عبارات تضرب في وقائع أو حوادث مشابهة للوقائع أو للحوادث الأصلية التي جاءت فيها، إذ تتسم بإيجازها وكثرة تداولها على الألسنة، وعليه فهي -الأمثال- تصور لنا جانبا مهما من مظاهر الحياة الاجتماعية الجاهلية بأبعادها المختلفة، وقد "أجاد الجاهليون في

¹- أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، مرجع سابق، ص. 19.

²- المرجع نفسه، ص. 20.

هذا النوع من الأدب وخلفوا لنا ما يدل على عقليتهم وأخلاقهم أكثر مما يدلنا الشعر والقصص، وذلك لأن الأمثال كلام أفراد الشعب في جميع طبقاتهم، يعبرون بها عن أحوالهم المختلفة، وعقليتهم الخاصة"¹.

كانت العرب تكثر من ضرب الأمثال فلا تحدد قائلها، وهذا طبيعي لأنها تصدر عن أناس مجهولين من عامة مختلف القبائل، والملاحظ أن بعض الأمثال لا يفهم معناها إلا بالعودة إلى كتب الأمثال. كقولهم "بعين ما أرينك" ومعناه أسرع. واشتهر منهم عبيد بن شَرِيَّة ولقمان وعاد وأكثم بن صيفي...

ومن الأمثال أيضاً: "تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها"، وهو مثل يضرب في صيانة الرجل الكريم نفسه عن المكاسب الخسيسة، "يخبط خبط عشواء": العشواء هي الناقة ضعيفة البصر، يضرب مثلاً في التعثر، "المنية ولا الدنية" أي الموت أفضل من العمل الدنيء...

ج- سجع الكهان

ارتبط سجع الكهان بظهور طائفة في العصر الجاهلي تعرف باسم الكهان أو المتكهنين²، الذين يدعون اطلاعهم على الغيب، وأن لكل كاهن تابعا من الجن يسترق له السمع، فيستطيع من خلاله معرفة ما سيكون وما سيحدث للناس في المستقبل، وعليه حظي هؤلاء الكهنة بقداسة دينية، لأن أغلبهم كان يهب نفسه لخدمة بيوت أصنامهم وأوثانهم، فكان الناس يلجئون إليهم في كل شؤونهم، وقد كانوا يتخذونهم حكّاماً في خصوماتهم ومنافراتهم، وأرباباً في تفسير رؤاهم وأحلامهم، لدرجة يعتقدون أنهم يوحى إليهم، وربما هذا ما جعل نفوذ الكاهن يتجاوز قبلته إلى قبائل أخرى مجاورة.

اعتمد الكهان على السجع في كلامهم عبر توظيفهم لألفاظ غامضة ومبهمة، ومن ثمة، دخل الرمز في كثير من أقوالهم، فكان ما يميز أسجاعهم عدم وضوح الدلالة مما يفتح باب الاختلاف والتأويل على مصراعيه، ويوازي أسجاعهم أيضاً، كثرة القسم بالأرض والسماء والكواكب والنجوم والأشجار والبحار وكثير من الطير، ففي اعتقادهم أن هذه الأشياء بها قوى وأرواحا خفية، ومن أجل ذلك يحلفون بها؛ ليؤكدوا كلامهم وليبلغوا ما يريدون من التأثير في نفوس هؤلاء الوثنيين. ومن أشهر المتكهنين سلمى بن أبي حيّة والذي يقال له عزى سلمة، وشافع بن كليب الصديقي، الكاهنة الشعثاء، وزبراء كاهنة بني رثام...

ومن أقوال الكهان نذكر ما يلي: قول سلمى بن أبي حيّة: "والأرض والسماء، والعقاب الصقّعاء، واقعةً ببقعاء، لقد نَفَر المجد بني العُشراء، للمجد والسناء"³.

¹- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، مرجع سابق، ص. 202.

²- انظر شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، مرجع سابق، ص. 420-423.

³- الجاحظ، البيان والتبيين، ج. 1، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط. 5، القاهرة، 1405هـ، ص. 290.

ويروى أن الكاهنة زبراء أُنذرت بني رثام غارة عليهم فقالت: "واللوح الخافق والليل الغاسق والصباح الشارق والنجم الطارق والمزن الوداق، إن شجر الوادي ليأدو حَتًّا، ويحرق أنيابًا عصلاً، وإن صخر الطود لينذر ثكلاً، لا تجدون عنه مَعْلًا"¹.

ويروي ابن الأثير أنَّ أحد الكهنة ويدعى شافع بن كليب الصدفيّ يتكهن بظهور النبيّ صلى الله عليه وسلم، فيقول: "قدم عليّ تُبّع الآخر ملك اليمن، قبل خروجه لقتال المدينة شافع بن كليب الصدفيّ، وكان كاهناً، فقال له تُبّع: هل تجد لقوم مُلكاً يزيد عليه؟ قال: أجده لبائرٍ مبرور، ورائد بالقهور، ووصف في الزبور، فُضِّلَت أُمُّهُ في السُّفُور، يفرّج الظلم بالنور، أحمد النبيّ، فإذا هو يجد صفة النبيّ صلى الله عليه وسلم"².

انطلاقاً مما سبق يمكن اعتبار سجع الكهان من الأنواع النثرية التي لها أثراً جلياً في نفوس جل الناس خلال العصر الجاهلي. إلا أننا لا نطمئن إلى كل ما روته كتب التاريخ والأدب من أقوال جرت على ألسنة الكهان والكاهنات، نظراً لبعد المسافة بين عصور التدوين والعصر الجاهلي، الأمر الذي يجعلنا نتهم مثل هذه الأقوال، إذ من الصعب أن تروى بنصها الأصلي³.

2- العصر الإسلامي

1.2- الشعر في العصر الإسلامي

جاء الإسلام بقيمه الروحية والعقلية والاجتماعية والإنسانية، فخدمت العصبية الجاهلية، ونشأت في الأمة روحاً دينية، إذ حلت قيم التوحيد والإيمان والإسلام محل الشرك والكفر وعبادة الأوثان والأصنام. لقد تغيرت العقلية العربية بمجيء الإسلام، وتحسنت الأحوال الاجتماعية والاقتصادية، وظهرت مؤثرات جديدة في الشعر والأدب تتمثل في:

- ✓ القرآن الكريم بأساليبه وبيانه،
- ✓ والحديث النبوي بإيجازه وبيانه،
- ✓ والمأثور الصحيح من الأدب الجاهلي.

وبعد مضي صدر الإسلام ستطراً عوامل ومؤثرات جديدة أهمها الفتوح والتلاحق الثقافي مع الأمم الأخرى. ثم هناك أثر الخصومة على الإمامة والخلافة وظهور الأحزاب السياسية والفرق الكلامية. كل ذلك سترك بصمته على الأدب الإسلامي.

¹ - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، مرجع سابق، ص. 421.

² - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 1، دار صادر بيروت، 1402هـ، ص. 417.

³ - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، مرجع سابق، ص. 421.

1.1.2- موقف الإسلام من الشعر

أ- موقف القرآن الكريم من الشعر

وردت في القرآن الكريم عدة آيات تضمنت كلمة " شعر " و " شاعر "، وهي آيات مكية نزلت في الشطر الأول من البعثة ترد على قريش وتنفي عن النبي صلى الله عليه وسلم تهمة الشعر وأن يكون " شاعرا ". وهي تهمة كانت من ضمن تهم قريش في سياق نفيها لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم. قال تعالى:

- ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ سورة يس الآية 69.

- ﴿وَيَقُولُونَ أَأَنْتَ لَتَأْكُلُونَا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ سورة الصافات الآية 36.

- ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ سورة الأنبياء الآية 5.

- ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ سورة الحاقة الآية 41.

لكن الآيات التي حددت موقف القرآن الكريم من الشعر بوضوح هي الآيات 224-225-226-227 من سورة الشعراء، قال تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾. وهذه الآيات تصنف الشعراء إلى صنفين:

- ❖ الشعراء الذين يتبعهم الغاؤون، وهم شعراء الكفار، أعداء الدعوة الجديدة.
- ❖ شعراء المؤمنين الصالحين المنتصرين للرسول صلى الله عليه وسلم ولصحبه وللدين الجديد. وهم المسايرون للدعوة الجديدة ولمواقفها ومبادئها وقيمها.

وهذه الآيات جميعا تدل دلالة واضحة، على أن القرآن الكريم لم يتخذ موقفا عدائيا من الشعر، وإنما سعى إلى التصدي للشعر المعارض للدين الجديد وتسفيهه، وتأييد الشعر المناصر له. وذلك في سياق المعركة القائمة بين الإسلام وكفار قريش.

وفي الآن نفسه انتصر القرآن للرسول صلى الله عليه وسلم وأثبت نبوته ونفى عنه أن يكون ما يقوله شعرا أو أن يكون شاعرا كما زعمت قريش.

ب- موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر

استمع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الشعر الجاهلي¹ وأصدر كثيرا من الأحكام حوله، انطلاقا من قيم العقيدة الجديدة. من ذلك قوله لما أنشد بيت عنترة :

¹ - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، دار المعارف، ط. 27، القاهرة، 2011، ص. 42 وما بعدها.

ولقد أبيت على الطوى وأظله \\\ حتى أنال به كريم المأكِل

" ما وصِف لي أعراي فأحببت أن أراه إلا عنثرة. " ولما أنشد قول طرفة:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا \\\ ويأتيك بالأخبار من لم تزود

قال: " هذا من كلام النبوة ". وروي عنه أنه قال: " أشهر كلمة تكلمت بها العرب كلمة ليبد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل /// وكل نعيم لا محالة زائل

إضافة إلى ذلك، نجد كعب بن زهير لما دخل الإسلام، طلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يؤمّنه

فأمّنه وأنشده مدحته الخالدة:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول /// متيم إثرها لم يفد مكبول

فكساه الرسول صلى الله عليه وسلم برده، ولقب قصيدته بالبردة التي استهلها بالغزل.

وهذه الأحاديث واضحة الدلالة على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن مهتما فقط بالشعر

والشعراء المعاصرين له، وإنما كان كذلك معجبا بالشعر المتضمن لقيم إنسانية توافق قيم الدعوة الجديدة، والذي

تغني بمكارم الأخلاق. وقد اثني صلى الله عليه وسلم على الشعراء المعاصرين له، ولم يخف إعجابه بحسان بن ثابت

ومقدرته الشعرية فقال، كما ورد في الأغاني: " أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن، وأمرت كعب بن مالك

فقال وأحسن، وأمرت حسان بن ثابت فشفي واشتفى " ¹.

ولذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الرد على المشركين ويشجعه، " أهجهم فوالله لهجاؤك

عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام، أهجهم ومعك جبريل روح القدس. " ²

ومن بين الأبيات التي رد بها حسان بن ثابت على أبي سفيان بن الحارث ويتحداه فيها عندما هجا

الرسول صلى الله عليه وسلم:

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ ***** وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكَفٍّ ***** فَشَرُّكُمْ لَخَيْرُكُمْ الْفِدَاءُ

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي ***** لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ

¹ - أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني ج.4، ص. 147.

² - ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء ج.1، ص. 217.

وللرسول صلى الله عليه وسلم مواقف أخرى من الشعر عامة، تعكس تذوقه للشعر وإعجابه به في بعض المواقف النبيلة.¹ من ذلك قوله لما أنشدته عمرو بن الأهتم شعرا مدحيا وهجائيا في الزبرقان ببدر لما سأله عنه: "إن من البيان لسحرا"، وقال في مناسبة أخرى: "إن من الشعر لحكمة".²

ج - موقف الصحابة من الشعر

* موقف عمر بن الخطاب من الشعر

لقد كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ملما بالشعر إلماما واسعا ومقدرا لأهميته عند العرب. فقد أجمعت المصادر القديمة في النقد على أنه أعلم الناس بالشعر، "وكان من أنقذ أهل زمانه للشعر وأنفذهم فيه معرفة".³ وهو القائل: "كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه".

وكان يدرك - رضي الله عنه - قيمة الشعر وبقاؤه بعد انقضاء الظروف التي أدت إليه، فقد قال لبعض ولد هرم بن سنان: "أنشدني ما قال فيكم زهير، فأنشدته، فقال: لقد كان يقول فيكم فيحسن، فقال يا أمير المؤمنين: إنا كنا نعطيه فنجزل، فقال عمر رضي الله عنه: ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم".⁴

كان عمر رضي الله عنه، يأمر المسلمين بأن يعلموا أولادهم ما حسن من الشعر، فقد كتب إلى أبي موسى الأشعري: "مر من قبلك بتعلم الشعر، فإنه يدل على معاني الأخلاق، وصواب الرأي، ومعرفة الأنساب".⁵ ليس هذا فحسب بل كانت له مواقف تبرز تذوقه للشعر وتفضيله لبعض الشعراء. كتفضيله للناطقة واعتباره أشعر غطفان. واعتباره زهير شاعر الشعراء، "لأنه لا يعاظم في الكلام وكان يتجنب وحشي الشعر، ولم يمدح أحدا إلا بما فيه".⁶

انطلاقا مما سبق، يتضح أن عمر بن الخطاب كانت له خبرة واسعة بالشعر، وأنه كان يتوفر على ذوق في يؤهله لتذوق الشعر وإصدار بعض الأحكام عليه، وللمفاضلة بين الشعراء وتقديم بعضهم، وتفسير ذلك أحيانا كما فعل مع زهير لما اعتبره شاعر الشعراء، لأنه لا يعاظم في الكلام، ويتجنب وحشي، ولا يمدح الرجل إلا بما

¹ - عبد العزيز جوسوس، نقد الشعر عند العرب في الطور الشفوي، ص. 50 وما بعدها.

² - ابن رشيقي القيرواني، العمد، ج. 1، ص. 27.

³ - المرجع نفسه، ص. 33.

⁴ - انظر ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج. 1، ص. 150، والعمدة، ج. 1، ص. 81.

⁵ - ابن رشيقي، العمد، ج. 1، ص. 28.

⁶ - عبد العزيز جوسوس، نقد الشعر عند العرب في الطور الشفوي، مرجع سابق، ص. 60.

فيه. لذلك اعتبره طه إبراهيم "أول ناقد تعرض نصا للصياغة والمعاني، وحدد خصائص لهذه وتلك، وهو أول من أقام حكما في النقد على أصول متميزة".¹

نخلص مما سبق بيانه، إلى أن الإسلام شجع الشعر، ولم يتخذ منه موقفا عدائيا، لكنه في الآن ذاته بين خصائص الشعر الإسلامي على مستوى المضامين.

وهذا ما ترتب عنه استمرار الشعراء في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفي عهد الخلفاء الراشدين في الإبداع في مختلف الأغراض التي كانت معروفة في العهد الجاهلي، وظهرت أغراض جديدة بفعل الدعوة الجديدة. يقول شوقي ضيف: " فالشعر لم يتوقف ولم يتخلف في هذا العصر، وهذا طبيعي لأن من عاشوا فيه، كانوا يعيشون من قبله في الجاهلية وكانوا قد انحلت عقدة لسانهم وعبروا بالشعر عن عواطفهم ومشاعرهم، فلما أتم الله عليهم نعمة الإسلام ظلوا يصطنعونه وينظمونه. وقرأ في كتب الأدب والتاريخ مثل الأغاني والطبري وسيرة ابن هشام وكتب الصحابة مثل، الإصابة والاستيعاب، فستجد الشعر يسيل على كل لسان، وقرأ في المفضليات والأصمعيات، فستجد المفضل الضبي والأصمعي يحتفظان في كتابيهما بغير مطولة للمخضرمين، وقد عقد ابن قتيبة في الشعر والشعراء تراجم لكثيرين منهم، وسلك ابن سلام في كتابه " طبقات فحول الشعراء " طائفة من مجوديههم البارعين.

يستقر في نفس كل من يرجع إلى هذه المصادر، أن الشعر ظل مزدهرا في صدر الإسلام، وليس بصحيح أنه توقف أو ضعف كما ظن ذلك ابن خلدون وتابعه فيه بعض المعاصرين.²

نفى شوقي ضيف نفيا قاطعا أن يكون الشعر قد ضعف في صدر الإسلام، واستدل على ذلك بكثرة الشعراء في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدن والبادي وفي صفوف المسلمين والمشركين.

2.1.2- كثرة الشعراء المخضرمين المتأثرين بالإسلام

يقول شوقي ضيف: "من يقرأ في شعر المخضرمين متصفحا ما نثر في كتب التاريخ والأدب يجد جمهور الشعراء، يصدرون في جوانب من أشعارهم عن قيم الإسلام الروحية التي آمنوا بها وخالطت شغاف قلوبهم. ولشعراء المدينة القدح المعلى في هذا الميدان، فهم الذين وقفوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم منذ نزوله بين

¹ - إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص. 31.

² - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ص: 42-43.

ظهرا نهم ينافحون عنه ويدافعون عن دعوته مصورين لهديه الكريم، يتقدمهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة...¹.

ومن هؤلاء المخضرمين أيضا الخنساء ولييد والنابعة الجعدي وكعب بن زهير والخطيئة. بعد فتح مكة، دخل شعراء قريش في الإسلام فاعتذروا عن ما قالوه قبل، من شعر ضد المسلمين، ومنهم أبو سفيان بن الحارث، وابن الزبير. وفي غير مكة والمدينة أيضا، شعراء كشعراء نجد والبوادي، كعبدة بن الطبيب، وسويد بن كاهل اليشكري، والحسين بن حماد الذي أسلم وهو في سن كبيرة، والنمر بن توب، ومن شعراء هذيل البارعين في هذا العصر، أبو ذؤيب الهذلي.

3.1.2- شعر الفتوح

شارك الشعراء في الفتوحات الإسلامية وأبلوا فيها البلاء الحسن وخلدوا انتصاراتهم بأشعار حماسية، وقد ذكر شوقي ضيف كثيرا منهم، واستشهد لهم ببعض أشعارهم مثل عمرو بن معد يكرب الزبيدي، وأبي محجن الثقفي، بشر بن ربيعة الخثعمي وقيس بن المكشوح وعمرو بن شأس الأسدي، وربيع بن مكرم الضبي، وعروة بن زيد الخيل وغيرهم كثير².

2.2- النشر في العصر الإسلامي

أ- الخطابة

كان لظهور الإسلام والدعوة إليه، أثرهما البالغ على تطور الخطابة³ التي بلغت غاية كمالها، خصوصا بعدما أصبحت وسيلة للدعوة إلى الدين الجديد، طوال حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم. وقد اختلفت أغراض الخطابة وموضوعاتها باختلاف دواعيها فمنها الدينية والحربية وفيها الدعوة إلى الدين عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والوعيد والإنذار، وردع البدع، وقمع الفتن، وتحسيس الجند. وكان لها من آي القرآن وحججه للتأثير والإقناع معين لا ينضب، ومدد لا ينفذ وقريحة تتوقد.

1 - نفسه، 68

2 - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ص. 62 وما بعدها.

3 - أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، مرجع سابق، ص. 128.

وأهم ما يميزها في هذا العصر، عذوبة ألفاظها، ومتانة أسلوبها، وقوة تأثيرها، واقتباسها من القرآن والحديث النبوي الشريف وانتهاجها منهج الإرشاد والإقناع وابتدائها بالحمدلة والبسملة والصلاة على رسول الله عليه الصلاة والسلام.

والحق أن العرب في هذه الحقبة التاريخية التي نحن بصدددها، ظلوا على ما ألفوه من لوث العمامة واتخاذ المخصرة والوقوف على نشز من الأرض والخطبة من قيام، إلا الوليد بن عبد الملك الذي خطب جالسا وتبعه بعض الخلفاء الأمويين، ولكنَّ القيام ظل سنة إلى يومنا هذا.

وليس في عصور اللغة عصر زها بالخطابة وحفل بالخطباء كهذا العصر لاهتمام العرب بها واعتمادهم في الدين والسياسة عليها. ومن أشهر خطبائه: الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الراشدون.

وعلى هدى القرآن الكريم خطب الرسول عليه السلام في العرب ليخرجهم من ظلمات الوثنية إلى نور الهداية السماوية، في الجمع والأعياد ثم في مواسم الحج وفي الأحداث والوقائع التي تُلم. وعلى نهجه اقتدى الصحابة رضي الله عنهم، ومن نماذج هذه الخطب نذكر ما يلي:

* نموذج من خطب الرسول صلى الله عليه وسلم

عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة، وبعد أن يحمد الله ويصلي على أنبيائه يقول: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لَكُمْ مَعَالِمَ فَأَنْتَهُوا إِلَى مَعَالِمِكُمْ، وَإِنَّ لَكُمْ نَهَائِي فَأَنْتَهُوا إِلَى نَهَائِيكُمْ، إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ: بَيْنَ أَجَلٍ قَدْ مَضَى لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ فِيهِ، وَبَيْنَ أَجَلٍ قَدْ بَقِيَ لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ قَاضٍ فِيهِ، فَلْيَأْخُذِ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ، وَمَنْ الشَّيْبَةِ قَبْلَ الْهَرَمِ، وَمَنْ الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَوْتِ، فَوَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ، وَمَا بَعْدَ الدُّنْيَا دَارٌ إِلَّا الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ». ذَكَرَهُ الْفَرُطِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ.

* نموذج من خطب أبي بكر بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم.

"ألا من كان يعبد محمداً، فإنَّ محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وقرأ (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ...)".¹ سورة آل عمران، الآية: 144 .

¹ - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ص. 125-126.

*نموذج من خطب عمر رضي الله عنه

" أين الطّراء المهاجرون عن موعود الله؟ سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يُورثكموها فإنه قال " (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) سورة التوبة، 33 والله مُّظْهِرٌ دِينَهُ وَمَعَزٌ نَاصِرُهُ وَمَوْلَى أَهْلِهِ مُوَارِثُ الْأُمَمِ، أين عبّادُ الله الصّالحون؟" ولما اجتمع الجيش أقر عليه أوّل من أجابه حينئذ إلى الجهاد، وهو أبو عبيد بن مسعود، وقال له: "اسمع من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، وأشركهم في الأمر، ولا تجتهد مُسرِعاً حتى نتبين، فإنها الحرب والحرب لا يُصلحها إلّا الرجل المكيث، الذي يعرف الفرصة والكف"¹.

ب- الرسائل

قبل العصر الإسلامي كانت الكتابة معروفة في مكة ولكنها قليلة جداً، وعندما نزل القرآن الكريم حث على الكتابة فقد قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ } وقال تعالى: { اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ } وقال تعالى: { ن. والقلم وما يسطرون } والكتابة الفنية في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تنحصر في كتابة الرسائل، وكتابة الرسائل امتداد للحديث العادي ولذلك نجد الرسائل تخلو من التكلف فهي سهلة العبارة خالية من عبارات التفخيم تنصب على الغرض الذي أنشئت من أجله، وهي تبتدئ عادة بـ(من عبد الله فلان إلى فلان أما بعد).

وتشمل الرسائل في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: الرسائل إلى الملوك والأمراء، والرسائل إلى عمال الدولة، بالإضافة إلى الرسائل الشخصية، وفي عهد الخلفاء الراشدين كانت الرسائل ترسل من الخليفة إلى الأمراء والقواد والقضاة. وكانت الرسائل تشتمل على وصايا وتعليمات كما أنها تشمل المناشير التي تعمم للمسلمين، وطريقة كتابة الرسالة في زمن الخلفاء الراشدين لم تختلف عما كانت عليه في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلا بنوع من الإطناب، كما نجد في رسائل عمر، أو رسائل علي رضي الله عنهما.

تميزت الرسالة في عهد صدر الإسلام بمجموعة من الخصائص تهم المضمون والأسلوب:

* على مستوى المضمون

1- البسملة

2- العنوان (من فلان إلى فلان)

3- السلام والتحية

4- التحميد لله تعالى

¹ - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ص. 125-126.

5- التخلص وفصل الخطاب وهي قولهم (أما بعد)

6- المضمون : وهو غرض الكاتب من الرسالة

7- الختام : بعبارة تؤذن في نهاية الرسالة مثل (والسلام عليكم ورحمة الله)

8- التذييل بتاريخ الرسالة واسم كاتبها

*- على مستوى الأسلوب

تميزت رسائل عصر صدر الإسلام من حيث الجوانب البلاغية:

1- الاعتدال في استخدام الفنون البديعية كالطباق والمقابلة والاستعارة والكناية والتشبيه والتمثيل والترادف

والتكرار والسجع والموازنة والازدواج والجناس...

2- الإيجاز والوضوح والقرب والتعبير الطبيعي والفصاحة والتماسك وقوة التأليف وضعف التصوير؛

3- اقتصارها على موضوع واحد لا تتعداه إن كانت قصيرة أو على عدة مواضيع إن كانت طويلة؛

4- بقيت الرسالة تشبه الخطبة من حيث الأسلوب ومن حيث الموضوعات وكذلك تميزت الرسائل من حيث

المعاني أنها مستمدة من مصدرين اثنين:

أ- مصدر خارجي يستمد منه الكاتب من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر والحكم والأمثال وأجزاء من الرسائل الأخرى.

ب- مصدر داخلي ذاتي يعتمد على القدرة الشخصية للكاتب على ابتداء المعاني وابتكارها.

- رسائل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

أرسل رسول الإسلام محمد بن عبد الله (ص) إلى الملوك والرؤساء رسائل يدعوهم للإسلام تحقيقاً لعالمية

الإسلام كما جاء في قوله تعالى: {تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً} سورة الفرقان:

الآية 1، وبناء على هذه العالمية أرسل صلى الله عليه وسلم رسائله إلى ملوك عصره وأمراء عهده، يدعوهم ولا

يهددهم، يخاطبهم بألقابهم ويعترف بمكانتهم ويقرر أن سلطانهم في ظل الإسلام باق لهم، فكان عليه الصلاة

والسلام يخاطب كل ملك حسب ظروفه، فإن كان من أهل الكتاب أشار إلى ما بين الأديان السماوية من روابط،

وإذا كان من غيرهم أشار إلى التزام البشرية بالعودة إلى الله وترك عبادة ما سواه.

نموذج من رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي:

"بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة، أسلم أنت، فإني أحمد إليك

الله، الذي لا إله إلا هو، الملك القدوس، السلام المؤمن، المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم، وروح الله، وكلمته

ألقاها إلى مريم البتول، فحملت به، فخلقه من روحه، ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاته على طاعته، وأن تتبعني، وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى"¹.

- رسالة عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري واليه على البصرة:

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، فافهم إذا أدلى إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له. آس بين الناس في مجلسك ووجهك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا يخاف ضعيف من جورك. البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر. والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا حرم حلالا وأحل حراما.... فإنه من يخلص نيته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى، ولو على نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين للناس بما يعلم الله منه خلاف ذلك هتك الله ستره وأبدى فعله. والسلام عليك"²

3- العصر الأموي

1.3- الشعر في العصر الأموي

أدى الفتح الإسلامي لكثير من الأقطار: العراق، إيران، خراسان، الشام، مصر، بلاد المغرب... إلى تعريب الكثير من الأجانب غير العرب، فتزوج العرب بالموالي، وعليه أدى هذا الامتزاج إلى تعريبهم بشكل سريع، وكانوا يحملون معهم لغات مختلفة، مثلاً كان أهل إيران وخرسان يتكلمون الفارسية... فتأثرت اللغة العربية بكثير من تلك الألفاظ الأجنبية. إضافة إلى ذلك، أثر الإسلام في موضوعات الشعر الأموي، وهو تأثير يقوى ويضعف حسب نفسية الشعراء، فغرض الغزل تأثر بالإسلام من خلال ما أصابه من براءة وطهر وصفاء ونقاء عند الشعراء، وأصبحت العلاقة بين الرجل والمرأة يطبعها نوع من القدسية، لأنها محاطة بمهالة من الوقار والجلال، وكان يتحول ما يصيب الشاعر من حب، إلى شكوى يتضرع فيها أحياناً إلى ربه على شاكلة قول جميل:

إلى الله أشكو لا إلى الناس حبها // ولا بُدَّ من شكوى حبيبٍ يُرْوَع

ألا تتَقَيَّنَ الله فيمَن قتلته // فأُمسى إليكم خاشعاً يتضرّع؟

.....

فيا ربَّ حبيبي إليها، وأعطني الـ // مودةً منها، أنت تُعطي وتمنّع

وإذا تحولنا إلى غرض المدح وجدناه، يتحول في كثير من جوانبه، إلى تصوير الفضيلة الدينية في

الممدوح، كما هو الحال في شعر أيمن بن حُرَيم إذ يقول في بني هاشم:

نهاركم مكابدةً وصومٌ // وليلكم صلاةً واقتراء

وليتم بالقرآن وبالتزكي // فأُسرع فيكم ذاك البلاء

¹- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، مرجع سابق، ص. 133-134.

²- المرجع نفسه، ص. 133-134.

الأمر نفسه، يقال عن غرض الهجاء، إذ أخذ الشعراء يهجون خصومهم، بانحرافهم عن الدين ويصفونهم بالفسوق والعصيان والبغي والطغيان، كقول جرير في آل المهلب:

آل المهلب فرطوا في دينهم // وطفوا كما فعلت ثمود فباروا

واشتد لهب الهجاء بتأثير العصبية، ولم يكد ينجو منه خليفة ولا وال ولا شريف، بل حتى القراء كان يتعرض لهم الشعراء، فكانوا يرمونهم بالنفاق وأنهم ليسوا صادقين فيما يظهرون من تقوى وصلاح، على شاكلة قول ذي الرمة ساخرًا من إحدى طوائفهم:

أما النبذ فلا يدعرك شاربته // واحفظ ثيابك ممن يشرب الماء

قوم يؤاؤون عما في صدورهم // حتى إذا استمكنوا كانوا هم الداء

مشترين إلى أنصاف سويقهم // هم اللصوص وهم يدعون قراء

ويعد شعر الحماسة أقوى في تأثيره بالإسلام من الهجاء والمدح، إذ كان ينظم أكثره في الجهاد، ومعروف أنه كان دائمًا في صفوف المحاربين قصاص ووعاظ يخونهم على الاستشهاد في سبيل الله، حتى يفوزوا برضوانه، ومن ثمة تحولت بعض القطع الحماسية التي نظمت في خراسان إلى مواعظ خالصة، كقول نصر بن سيار:

دع عنك دنيا وأهلًا أنت تاركهم // ما خير دنيا وأهل لا يدومونا

وأكثر تقى الله في الأسرار مجتهدًا // إن التقى خيره ما كان مكنونا

واعلم بأنك بالأعمال مؤثمن // فكن لذاك كثير الهم محزون

وامنح جهادك من لم يرج آخره // وكُن عدوًا لقوم لا يصلُّونا

فاقتلهم غضبًا لله منتصرًا // منهم به ، ودع المرتاب مفتونا

لقد طبع الرياء عامة بطوابع هذه الروح وما يُطوى فيها من التسليم لله والرضا بقضائه، فكل نفس ذائقة الموت، وهو حتم في رقاب العباد، وعليهم أن يتذرعوا بإناءه بالصبر الجميل. وقد أدت الحروب إلى قتل الكثير، فكان الشعراء يندبونهم ندبًا حارًا، مازجين ندبهم بما ينتظرهم من نعيم الخلد، كقول الضحاك بن قيس يرثي بهلولا الصُّفري الذي خرج لعهد هشام بن عبد الملك وقُتل:

يا عين أدري دموعًا منك تَهْتَانَا // وابكي لنا صُحبةً بانوا وإخوانا

خلُّوا لنا ظاهر الدنيا وباطنها // وأصبحوا في جنان الخلد جيرانا

كما ظهر غرض الزهد، وأصبح موضوعا مستقلا بذاته، حيث كثر الشعراء الذين تدفَّق على لسانهم هذا الينبوع الغزير، وأخذ فريق من الشعراء الذين لم يُعرفوا بزهد، يستظهرون صورًا إسلامية كثيرة في شعرهم، بل نجد حتى الفرزدق المستهتر ينظم قصيدة في إبليس الرحيم. وعليه اصطبغ الشعر بالمتالية الدينية وما يرتبط بها من معانٍ. والحق أن الإسلام خلف أثرًا واسعًا في نفوس الشعراء، وهو أثر ما زال يتعمَّق نفرا منهم حتى انقلبوا وعاظًا، يعظون الناس ويذكروهم باليوم الآخر وما ينتظرهم من الثواب والعقاب، وهم في أثناء ذلك يتحدثون عن الموت وما تحزَّم من قرون بعد قرون، كما يتحدثون عن الدنيا ومتاعها الزائل، مصوِّرين طريق النجاة على أنه يقوم على التقوى

والعمل الصالح ومجانبة كل خلق رديء، من مثل الكبر والبخل والخيانة، والتحلي بالمقابل بكل خلق كريم، من مثل التواضع والجود والأمانة.

عموماً يمكن القول، إن الإسلام على هذه الشاكلة كان يؤثر في نفسية الشعراء، وانعكس هذا التأثير على الموضوعات المختلفة التي نظموا فيها.

1.1.3- شعر النقائض

أسهمت العصبية في البصرة والكوفة في اشتعال نار الهجاء طوال العصر الأموي، كما ساعد على نمو فن النقائض نمواً واسعاً، وقد كانت من وراء هذا النمو عوامل اجتماعية وعقلية، أما العوامل الاجتماعية فتعود إلى حاجة المجتمع العربي خاصة في البصرة إلى ضرب من الملاحية يقضي فيه الناس أوقات فراغهم. فعندما كانت تنشأ المدن، تنشأ معها أوقات فراغ تبعث أهلها على أن يملئوها إما بالدرس والنظر العقلي وإما بلهو يجد فيه الفارغون من العمل تسليتهم.

وقد رأينا سابقاً مكة والمدينة تقبلان على الغناء ووجد فيه أهلها حاجتهم من التسلية واللهو. أما قبائل العراق فلم تتجه هذا الاتجاه، إذ كانت شديدة الصلة بحياتها البدوية القديمة، وأخذت نيران الهجاء تشتعل فيها اشتعالاً شديداً. حينئذ انبرى الهجاؤون يملؤون أوقات الناس هناك بهجائهم، وسرعان ما تحولوا بها إلى نقائض مثيرة، فشاعر قبيلة من القبائل ينظم قصيدة من القصائد في الفخر بقبيلته وأمجادها ويتعرض لخصومها من القبائل الأخرى، فينبري له شاعر من شعراء تلك القبائل يرد عليه بقصيدة على وزن قصيدته ورويها، وكأنه يريد أن يظهر تفوقه عليه من ناحية المعاني ومن ناحية الفن نفسه، ويتجمع الناس من حوالتهما يصفقون ويهتفون ويصيحون، وبذلك تحولت النقائض من غاية الهجاء الخالص إلى غاية جديدة هي سد حاجة الجماعة الحديثة في البصرة إلى ضرب من ضروب الملاحية.

أما العوامل العقلية، فمردّها إلى نمو العقل العربي ومرانه الواسع على الحوار والجدل والمناظرة في مجال السياسة والعقيدة وفي الفقه وشؤون التشريع، وعليه أخذ شعراء النقائض يتناظرون في حقائق القبائل ومفاخرها ومثالبها، وكل منهم يدرس موضوعه دراسة دقيقة ويبحث في أدلته ليوثقها وفي أدلة خصمه لينقضها دليلاً دليلاً، وكانت سوق المربد مسرحاً لها، فالشعراء يذهبون هناك، ويذهب إليهم الناس ويتحلقون من حولهم، ليشاهدوا من تكون له الغلبة على شاعر أو شعراء آخرين.

وأهم الشعراء الذين عملوا على تنمية النقائض القبلية مستلهمين فيها ظروف العصر وأحداثه السياسية، جرير والفرزدق، وكان الأول من عشيرة كليب اليربوعية، والثاني من عشيرة مجاشع الدارمية، وقد ظلا يتناظران نحو

خمسة وأربعين عاما في عشرينيهما من جهة، وفي قيس وتميم من جهة ثانية، فكان جرير يقف في صفوف قيس، في حين وقف الفرزدق في صفوف تميم.

ونذكر من نقائض الشعارين قول الفرزدق:

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا **** بَيْتًا، دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ
بَيْتًا بَنَاهُ لَنَا الْمَلِكُ، وَمَا بَنَى ***** حَكَمُ السَّمَاءِ، فَإِنَّهُ لَا يُنْقَلُ
بَيْتًا زُرَّازَةٌ مُحْتَبٍ بِفِنَائِهِ، **** وَجُشَاعٌ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلُ
يَلْجُونَ بَيْتَ مُجَاشِعٍ، وَإِذَا احْتَبَوْا ***** بَزُّوا كَأَتَهُمُ الْجِبَالُ الْمُثَلُّ
لَا يَخْتَبِي بِفِنَاءِ بَيْتِكَ مِثْلَهُمْ ***** أَبَدًا، إِذَا عُدَّ الْفَعَالُ الْأَفْضَلُ
مِنْ عَرِّهِمْ جَحَرَتْ كُلِّبٌ بَيْتَهَا ***** زَرْبًا، كَأَتَهُمْ لَدَيْهِ الْقُمَّلُ
ضَرَبَتْ عَلَيْكَ الْعَنْكَبُوتُ بِنَسْجِهَا، **** وَقَضَى عَلَيْكَ بِهِ الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ

. يرد عليه جرير:

أَخَزَى الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ مُجَاشِعًا **** وَبَنَى بِنَاءَكَ فِي الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ
وَلَقَدْ بَنَيْتَ أَحْسَنَ بَيْتٍ يُتَنَى ***** فَهَدَمْتُ بَيْتَكُمْ بِمِثْلِي يَذْبُلُ
إِنِّي انْصَبَبْتُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ ***** حَتَّى اخْتَطَفْتُكَ يَا فَرَزْدَقُ مِنْ عَلٍ
إِنِّي إِلَى جَبَلِي تَمِيمٍ مَعْقِلِي ***** وَتَحَلُّ بَيْتِي فِي الْبِفَاعِ الْأَطْوَلِ
أَحْلَامُنَا تَزْنُ الْجِبَالَ رَزَانَةً ***** وَيَفُوقُ جَاهِلُنَا فَعَالَ الْجُهْلِ
كَانَ الْفَرَزْدَقُ إِذْ يَعُودُ بِخَالِهِ ***** مِثْلَ الدَّلِيلِ يَعُودُ تَحْتَ الْقَرْمَلِ
إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا ***** بَيْتًا عَلاكَ فَمَا لَهُ مِنْ مَنَقَلٍ

2.1.3- شعر الغزل

1.2.1.3- شعراء الغزل الصريح

تحدثنا عن تحضر مراكز الشعر في هذا العصر كالمدينة ومكة، اللتان غرقتا في النعيم، بسبب ما جلبته الفتوح من أموال ورقيق أجني، وكيف سد هذا الرقيق حاجة الشباب المتعطل من اللهو والموسيقى والغناء الذي انتشر انتشارا كبيرا بين الناس، حتى النساء والفقهاء، والنساء اللواتي كن يتخذن الأسباب لسماعه في مجالسهن. وعليه شاعت في هذا الجو المعطرة أنفاسه بالموسيقى والغناء، موجة واسعة من المرح، وعاش الشعراء للحب والغزل، فهو الموضوع الذي كان يطلبه المغنون والمغنيات ويستهوئ الناس من رجال ونساء. فأخذ يتطور

بتأثير الغناء الذي عاصره تطورا واسعا، إذ أصبحت كثرتة مقطوعات قصيرة، فمال الشعراء إلى الأوزان الخفيفة، لكي يمنحوا الفرصة للمغنيين والمغنيات الفرصة ليلائموا بين أشعارهم وألحانهم وأنغامهم التي يوقعونها على آلاتهم الوترية وطبولهم الموسيقية، بل كان الشعراء يصطنعون الألفاظ العذبة السهلة، لكي يرضوا أذواق المستمعين في هذا المجتمع المتحضر الذي يخاطبونه.

ظفرت المرأة العربية بقليل من الحرية فكانت تلتقي الرجال وتحادثهم، وكانت تعجب بمن يصف جمالها وتعلق القلوب بها، وينبغي أن نفرق بين الحرية والإباحية، ففي الأولى يبقى للمرأة وقارها وعفافها، وفي الثانية تقبل على اللهو والعبث والمجون، لا يردُّها وقار ولا حشمة ولا خلق. نذكر من بين شعراء الغزل الصريح الأخص والعرجي وعمر بن أبي ربيعة، الذي كان يعلن في مواسم الحج حبه إعلانا لكل امرأة ذات حسن يلقاها، يقول:

يَقْصِدُ النَّاسَ لِلطَّوْافِ احْتِسَاباً ***** وَذَنُوبِي مَجْمُوعَةً فِي الطَّوْافِ

وتذهب مواسم الحج، فيتصدى لكل فتاة جميلة بمكة، وخاصة الثريا بنت علي الأموية، وينزل للمدينة فيتصدى للقرشيات الجميلات بها مثل سكينه بنت الحسين وزينب الجمحية..

2.2.1.3- شعراء الغزل العذري

الغزل العذري غزل نقي طاهر، وقد نسب إلى بني عذرة إحدى قبائل قضاة، ولم يقف هذا الموضوع الشعري عند عذرة وحدها، بل شاع في بوادي الحجاز ونجد حتى أصبح لونا شعبيا عاما، وخاصة بني عامر، حيث يرجع ظهوره إلى الإسلام الذي طهر النفوس وبرأها من كل إثم. وكانت نفوسا ساذجة لم تعرف الحياة المتحضرة المتسمة بالعبث واللهو، والحب الحضري المترف ولا الحب الذي تدفع إليه الغرائز، وإنما تعرف الحب العفيف السامي الذي يكوى المحب بناره ويستقر بين أحشائه، حتى ليصبح كأنه محنة أو داء لا يستطيع التخلص منه ولا الانصراف عنه، وقد كثر أصحابه وكثرت أشعاره، ومن أبرز شعراء الغزل العذري نذكر: عروة بن حزام العذري وصاحبه عَفَاء، يقول:

وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لَذَكَرَاكَ رَعْدَةً ***** لَهَا بَيْنَ جِلْدِي وَالْعِظَامِ ذَبِيبٌ

فوالله لا أنساك ما هبَّت الصبا ***** وما أعقبها في الرياح جنوبٌ

ومنهم أيضا، الصَّمَّة القشيري، وكثير عَزَّة، وابن عتبة وقيس بن ذريح وجميل بن معمر.

2.3- النشر في العصر الأموي

أ- الخطابة

يذهب أغلب المؤرخين للأدب العربي إلى أن الخطابة في العصر الأموي رقت رقيا عظيما وراجت رواجًا كبيرًا، وقد ساعد على ذلك وجود الخلافات المذهبية والأحزاب السياسية منذ بداية الدولة، بل منذ خلافة علي رضي الله عنه، فظهرت الشيعة والخوارج، وعليه كان لعلّي حزبه، ولمعاوية حزبه، هذه الأجواء أسهمت في رواج الخطابة، إذ يعتمد كل حزب عليها في نشر نحلته وتأييد دعوته ويركز عليها كسلاح إعلامي خطير في استمالة الآخرين لصفه، والانتقاص من خصومه.

كما أسهمت في ازدهار الخطابة خلال هذا العصر عوامل أخرى:

"منها: الجدل المحتدم بين الفرق الدينية، ومنها: كثرة الوفود على الخلفاء والولاة، وقيام بعض الوعاظ بالخطابة في المساجد ووعظ الناس، منذ نصبهم معاوية لهذا الغرض، ومنها: إقبال البلغاء على القرآن الكريم يحفظون ويدرسون، ونماء الثقافة اللغوية والأدبية في تلك الحقبة، والعناية بحفظ ما خلفه السابقون"¹.

ومما ساعد على ازدهارها كذلك أنه "كانت تُعقد مجالس للمباراة في الخطابة، والسبق فيها، وكثيرا ما كان يُدعى الشخص إلى القول مفاجأة، لِيُختبر مقدار بيانه، وقوة جنانه، وحضور بديهته، ونهوض حجته، ومن ذلك ما عقده عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والي العراق من مجلس للخطابة، تبارى فيه خالد بن صفوان، وشبيب بن شيبه، والفضل بن عيسى، وواصل بن عطاء، وقد نال في ذلك المجلس قصب السبق واصل بن عطاء"².

وكان للخطابة في ذلك العصر مميزات الفنية العديدة، ومنها:³

1 - الإعداد، يقصد به العناية بإعدادها، والتأني في صياغتها والتأمل في بناء عناصرها، وتنسيق أفكارها، والتفنن في أسلوبها.

2- حافظت في افتتاحها غالبا على الأسلوب الذي كانت تفتتح به الخطب في العصر الإسلامي، فأكثرها مبدوء بالحمد لله والثناء عليه، والصلاة والسلام على رسوله، وبعضها مبدوء بالتهديد والوعيد لتنبئ عن غضب الخطيب وترهيب السامعين بشديد عقابه، كبعض خطب الحجاج، وبعضها مبدوء بالشتم والتوبيخ لأن المقام مقام تقييع وتأنيب، مثل بعض خطب زياد، وكان بعضها يبدأ بالموضوع مباشرة، وغير هذا من الافتتاحيات.

3 - بالنسبة لمكونات الخطبة، نجد بعض الخطب تتناول فقط الموضوع، وبعضها الآخر تقسم إلى مقدمة، وعرض، وخاتمة.

¹- أحمد الحوفي، فن الخطابة، ص. 213.

²- محمد أبو زهرة، الخطابة، ص. 299.

³- أحمد الحوفي، فن الخطابة، ص. 214 وما بعدها باختصار وتصرف.

- 4 - تشبه الخطابة الشعر في هذا العصر من حيث بيان المعاني والأفكار، وتوضيحها وتحسيمها في قوالب من التخیل والتضاد، كالتشبيه والاستعارة، والكنائية، وعرض الصور المتضادة، والطباق، ونحوها.
- 5 - تتسم الخطابة بقوة العبارة وجزالتها، وقصر الجمل، والعناية بالموقع والرنين.
- 6 - تتميز الخطب هذا العصر كلّها بالإيجاز المعتدل.
- 7 - إكثار الخطباء في خطبهم من الاقتباس من آيات القرآن الكريم.
- 8 - الاستشهاد بالشعر، أو الاقتباس من عباراته ومعانيه.
- وعليه، يمكن القول، إن فن الخطابة لم يبلغ من النماء والنضج في أي عصر من العصور ما بلغه في العصر الأموي.

ومن أشهر خطباء هذا العصر نذكر منهم معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وواصل بن عطاء، وزباد بن أبيه، والحجاج بن يوسف الثقفي، ومنهم أبو وائلة إياس بن معاوية المزني، وقد أفاض الجاحظ في الحديث عن بلاغة الأخير وفصاحته وجودة فراسته¹، ومنهم عمرو بن سعيد المعروف بالأشدق، وأبوه سعيد بن العاص بن أمية²، ومنهم سُحبان وائل³، وعمر بن عبد العزيز.

- نموذج من خطبة لعمر بن عبد العزيز:

"أيها الناس، إنكم لم تُخلقوا عبثًا، ولن تُتركوا سُدىً، وإنَّ لكم مَعَادًا يحكّم الله نبيّكم فيه، فخاب وخسر من خرج. من رحمة الله التي وسّعت كلّ شيء، وحُرّم الجنة التي عرضها السماوات والأرض. واعلموا أنَّ الأمان غداً لمن خاف الله اليوم وباع قليلاً بكثير، وفاتنا بياقٍ، ألا تَرَوْنَ أنكم في أسلاب الهالكين، وسيخلفها من بعدكم الباقون، كذلك حتى تُردُّوا إلى خير الوارثين"⁴.

- نموذج من خطبة للحجاج حين أراد الحج:

"يا أهل العراق: إني أردت الحج، وقد استخلفت عليكم ابني محمدًا، وما كنتم له بأهل، وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأنصار؛ فإنه أوصى أن يُقبل من محسنهم ويُتجاوز عن مسيئهم، وأنا أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم، ألا وإنكم قائلون بعدي مقالة لا يمنعكم من إظهارها إلا خوفي، تقولون: لا أحسن الله له الصحابة؛ وإني أعجل لكم الجواب: فلا أحسن الله عليكم الخلافة، ثم نزل"⁵.

¹ - الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص. 98 - 101.

² - المرجع نفسه، ص. 114-116.

³ - نفسه، ص. 348.

⁴ - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، مرجع سابق، ص. 419.

⁵ - ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج. 4. مرجع سابق، ص. 205-206.

ب- الرسائل

أدى توسع الدولة الإسلامية بفضل الفتوح إلى ضم عدة أقطار، وتوزع الولاة والعمّال عليها، الأمر الذي دفع الدولة إلى مراسلتهم وتبليغهم، كل الأمور التي ترتبط بالسياسة أو الإدارة، فظهرت كتابة الرسائل. وأصبح للكتابة في عصر الدولة الأموية مناصب، وجعلوا لها دواوين خاصة-إدارة خاصة- فرئيس الديوان-كان يسمى الكاتب- يكتب الرسائل التي كان الخليفة يبعث بها إلى الولاة والعمّال وإلى الملوك الآخرين، كما كان يتلقّى الرسائل التي كانت ترد إلى الخليفة.

وعليه، تطوّرت الرسالة نفسها وأصبحت الكتابة صناعة ذات قواعد وأصول لها مطالع وفيها تحميدات تختلف باختلاف مقام الذين تصدر عنهم وتوجّه إليهم، ثم لها خواتيم تختلف أيضا بحسب ذلك. فظلّ الترسل في العصر الأمويّ غالبا «فنا رسميًا» يتعلّق بأمر الدولة. عموما يمكن إجمال أهم خصائص الرسائل في العصر الأموي فيما يلي:

- 1- شيوع استعمال السجع وتعمره أحيانا؛
 - 2- اتسامها بممتانة التراكيب وبلاغتها وتوظيف غريب اللفظ؛
 - 3- العناية بالإيقاع والتنغيم الصوتي، عبر الحرص على إظهار عناصر الإيقاع والوزن التنغيم الصوتي، للتأثير في النفس والوجدان؛
 - 4- الجنوح إلى الإطناب، عن طريق الترادف وتكرير المعنى الواحد في عبارات متتابعة، لتأكيد الفكرة وتوضيحها أو تفصيل جوانبها؛
 - 5- استعمال التحميدات في فصول الرسائل، لإظهار الثناء والحمد لله عز وجل على آلائه؛
 - 6- تسلسل الأفكار والدقة في تنظيمها وترتيبها، والبراعة في تقسيمها وذلك راجع إلى التروي في إنشاء تلك الرسائل والتأنق في إعدادها؛
 - 7- تدفق العاطفة وصدق الإحساس؛
 - 8- الافتنان في التصوير والبراعة في الوصف، وذلك راجع إلى براعة الكتاب في انتقاء صور الخيال الرائعة وافتنائهم في وصف المشاهد الحسية وتحليل بعض الصفات والأمور المعنوية تحليلا دقيقا يسير أغوارها.
- نماذج من الرسائل تصور لنا كيف كان الولاة يتراسلون مع الثائرين من خوارج وغير خوارج.

-رسالة الحجاج إلى قطرى ابن الفجاءة مهددا متوعدا

"سلام عليك أما بعد فانك مرّقت من الدين مروق السهم من الرّميّة قد علمت حيث تجرّثت، ذلك أنك عاص لله ولولاة أمره. غير أنك أعراي جلفٌ أُمي تَسْتَطْعَم الكِسرة وتَسْتَشْفِي بالثمرة والأمور عليك حسرة خرجت لتنال

شُبَّعة فلهحق بك طَعَامٌ صَلَّوا بما صَلَّيت به من العيش فهم يهتَّون الرماح ويستنشئون الرياح، على خوف وجهد من أمورهم وما أصبحوا ينتظرون أعظم مما جهلوا معرفته ثم أهلكهم الله بنزحتين. والسلام"¹.

– جواب قطري بن الفجاءة للحجاج بن يوسف الثقفي مهددا متوعدا

من قطري بن الفجاءة إلى الحجاج بن يوسف "سلام على الهداة من الولاة الذين يرعون حريم الله ويهربون نِقمه فالحمد لله على ما أظهر من دينه، وأطلع به أهل السَّفال وهدى به من الضلال ونصر به عند استخفافك بحجَّه. كتبت إلي تذكر أني أعرابي جلف أميَّ أستطعم الكسرة وأستشفى بالتمرة، ولعمري يا ابن أم الحجاج إنَّك لمتيَّه في جِبَلَّتكَ مُلَطخَم في طريقتك، واه في وثيقتك، لا تعرف الله ولا تجزع من خطيئتك، يئست واستيأست من ربك، فالشيطان قرينك، لا تجاذبه وثاقك ولا تنازعه خِناقك. فالحمد لله الذي لو شاء أبرز لي صفحتك، وأوضح لي طلعتك، فو الذي نفسُ قطريَّ بيده لعرفت أن مقارعة الأبطال ليس كتصدير المقال، مع أني أرجو أن يدحض الله حجَّتكَ، وأن يمنحني مُهجَّتكَ"².

4- العصر العباسي

1.4- الشعر في العصر العباسي

أ- ازدهار الشعر في العصر العباسي

– أثر السياسة والحضارة في الشعر

لقد تأثر الشعراء في العصر العباسي تأثرا واضحا بما عرفته الحياة من تحول اجتماعي وحضاري. فقد كان الشعراء أقرب إلى الخلفاء في منادياتهم وسممرهم ومجالسهم. وحظوا بالتشجيع والدعم والحفاوة، وساهمت الحضارة والطبيعة في إطلاق قرائحهم، فجالوا في الشعر جولات "لم تتوفر أسبابها لأسلافهم، ونقلوه من البوادي المجذبة، والأخبية المطنَّبة إلى الرياض الناضرة، والقصور الشاهقة، والمناظر المونقة، على يد زعيم المولدين بشار. ولقد عرضت للشعر عوارض أثرت في أسلوبه ومعانيه وأغراضه وأوزانه"³.

وعليه، فمن ناحية الأسلوب، تم الابتعاد عن الألفاظ الغريبة،⁴ وصارت تراكيبه عذبة واضحة. وتم استحداث البديع والإكثار منه ومن الاستعارة والتشبيه وترك الابتداء بذكر الأطلال، إلى المبالغة في وصف القصور والخمر والرياض والغزل، واتسم الشعر بالإغراق في المدح والهجاء. كما تم الحرص على التناسب بين أجزاء القصيدة، ومراعاة الترتيب في التركيب.

¹- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، مرجع سابق، ص. 457-458.

²- المرجع نفسه، ص. 458.

³- أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، مرجع سابق، ص. 182.

⁴- المرجع نفسه، ص. 182-183.

أما من ناحية المعاني، فقد تميزت بتوليد المعاني الحضريّة، واقتباس الأفكار الفلسفية، بسبب التلاقح الحضاري مع الثقافات الأجنبية الفارسية واليونانية. فقد تأثر الشعراء بما دخل الشعر من خواطر فلسفية وسياسية وآراء علمية، خاصة في شعر أبي تمام والمتنبي وأبي العلاء وأضرابهم، وبما طرأ على أغراض الشعر من تحول إلى المبالغة في وصف الخمر ومجالسها ووصف الرياض والصيد، وغزل المذكر والمجون، والوعظ والزهد والأخلاق والفلسفة. كما ظهر الشعر التعليمي في شكل متون ومنظومات في النحو والمنطق والحديث وغير ذلك.

لما انفرط عقد الخلافة، وتعددت حواضر الدولة باستقلال الولاة في فارس والشام ومصر والمغرب، وجد الشعر في غير بغداد ملاذاً وحماً، وحظي الشعراء في تلك الدول بالمكافأة والتشجيع، فازداد الشعر ابتكاراً وانتشاراً وكثرة. فقد كان للشعب السياسي أثر في نهضة الشعر، إذ كان الأمراء يتقبلون الخلفاء في تقريب الشعراء وتعظيم الأدباء والشعر والعلم، كما رأيت، لا يزهوان إلا في ظل ملك، أمير.

عندما قل المدعمون للشعراء، وقل الراغبون في الشعر، وتوالت الفتن والحزن، واستشعرت النفوس القهر والذل، ذهب جمال الشعر العربي من الشرق، وانصرفت الخواطر إلى التصوف والأدعية، وكثر التوليد والابتداع والتكلف والتصنع.

ب- أشهر الشعراء المولدين

اشتهر في هذا العصر عدة شعراء ذاع صيتهم، وانتشر شعرهم بين الناس، وشغلوا النقاد، وجعلوهم يفترقون ويختلفون في شعرهم. ومن أشهرهم:

- بشار بن برد (95 هـ - 167 هـ)
- أبو العتاهية (130 هـ - 211 هـ)
- أبو نواس (145 هـ - 199 هـ)
- ابن الرومي (221 هـ - 284 هـ)
- ابن المعتز (249 هـ - 296 هـ)
- الشريف الرضي (359 هـ - 404 هـ).

ج- الشعر والشعراء في الشام

تملك بنو حمدان في شخص زعيمهم أبو محمد الحسن بن أبي الهيجاء في القرن الرابع على حلب وهم كما قال الثعالبي "ملوك وألسنتهم على الفصاحة، وأيديهم للسماحة، وسيف الدولة مشهور بسيادتهم، ووساطة قلاذهم"، وهو أديب بارع وشاعر مطبوع وملك ممدوح فوطاً كنفه للأدباء والشعراء والعلماء.

وطريقة شعراء الشام في الشعر هي طريقة البحر في إثارة اللفظ الجزل، والأسلوب الفصيح السهل، دون تعمق في المعنى، ولا إفراط في الإيجاز.

يكفي الشام فخراً أن أعادت سبق الشعر والبراعة في قرضه إلى العرب بعد أن غلبهم عليه متعربوا الفرس وأبناء الموالي في صدر هذا العصر.

ومن أشهر شعراء الشام الذين شغلوا الناس بشعرهم، بل شغلوا النقاد طيلة القرن الرابع:

- أبو تمام (188 هـ - 231 هـ)
- والبحتري (206 هـ - 284 هـ)
- والمتنبي (303 هـ - 354 هـ)
- وأبي فراس الحمداني (320 هـ - 357 هـ)
- وأبي العلاء (363 هـ - 449 هـ)

2.4- النثر في العصر العباسي

ازدهرت الفنون النثرية خلال العصر العباسي وتطورت تطورا كبيرا، نظرا لاطّلاع العرب على ثقافات الأمم الأخرى وعلى معارف الشعوب التي ظمتها الدولة العباسية إليها، بفضل عملية النقل والترجمة ثم بفضل تعريب الشعوب غير العربية والأخذ من معارفهم وعاداتهم وتقاليدهم وطرائقهم في العيش، فحدث تفاعل واسع بينهم وبين العرب، وعليه تهيأت الظروف لظهور المدنية العربية في تلك الأمصار التي "دانت بالإسلام، وهي مدنية قوامها مزيج من التعاليم الإسلامية الروحية والخلقية ومن الأدب العربي بشعره ونثره ومن صور الحياة العقلية والمادية في المحيط العربي الجديد، وعلى سنن من طبائع الحياة أخذ النثر يتطور تطورا واسعا، إذ حمل خلاصة هذه المدنية"¹، لدرجة أن هذا الفن أصبح يضاهي الشعر أهمية وحظوة لدى النقاد، ومن أبرز الفنون التي ازدهرت في هذا العصر:

أ- الخطابة

في صدر هذا العصر ازدهر فن الخطابة ازدهارًا كبيرًا، ويرجع هذا الأمر إلى اعتلاء العباسيين سدّة الحكم، واعتمادهم عليها- الخطابة- في توطيد الملك وتحميس الجند، وكسب التأييد السياسي من الناس لإثبات أحقيتهم بالخلافة، والتعريض بالأمويين ووصفهم بالظلم والجور، حتّى أضحت الخطابة وسيلة فاعلة في ذلك، ومن أبرز الخطباء أبو جعفر المنصور وهارون الرشيد وأبو العباس السفّاح والمأمون وخالد بن صفوان وشبيب بن شيبة. ومن أنواع الخطابة التي اشتهرت في العصر العباسي نذكر:

- **الخطابة السياسية** دفعت الثورة التي قام بها العباسيون ضد الأمويين إلى اللجوء إلى الخطابة السياسية، فكانت مضامينها، تدور حول انتساب العباسيين إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكنها ما لبثت أن قلت الدواعي إليها، بعدما تولّى العباسيون الحكم، وقضوا على الثورات التي عارضتهم.

- **الخطابة الدينية** عُرِفَت وازدهرت في هذا العصر، وشارك فيها الخلفاء العباسيون، ومنها خطبة هارون الرشيد، وقد ازدهر هذا النوع من الخطب في بيئة الوعظ والنسك، حتى اشتهر بها عدد من الوعّاظ، منهم: عمرو بن عبيد المعتزلي واعظ المنصور وابن السّمّاك واعظ هارون الرشيد وكان لهم تأثير في السامعين؛ لإيمانهم الشديد، وما مزجوه في خطبهم من قصص دينية.

¹ - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، دار المعارف، ط. 19، القاهرة، 2008، ص. 441.

ب- الرسائل ازدهر فن التراسل في العصر العباسي، خاصة مع الاتساع الذي شهدته الدولة، حيث كثر وُلاتها، وأصبح التراسل أمراً ضرورياً بين الخليفة والولاة، وغيرهم، ويشترط فيمن تسند إليه مهمة ديوان الرسائل أن يكون ملماً بثقافة أدبية ولغوية وسياسية وتاريخية، علاوة على إتقانه صنعة الكتابة وأساليبها، وعلم اللغة والخراج والحساب، بالإضافة إلى الإلمام بعلوم الفلسفة والمنطق.

ومن أنواع الرسائل في العصر العباسي:

- الرسائل الديوانية وقد كثرت وتنوّعت بكثرة الدواوين وتنوّعها، فهناك ديوان للرسائل، ديوان للحرب، وديوان للجيش، وديوان للنفقات، وديوان للخراج، وديوان للدّويلات، بالإضافة إلى ديوان رئيس يشرف عليها، وكانت مواضيع هذه الرسائل تصرف شؤون الدولة وأعمالها، ومن أبرز كتاب الرسائل الديوانية: يحيى البرمكي والفضل بن سهل وابن العميد والمعتمد بن عباد وغيرهم كثير، اختلفت أساليبهم في الكتابة، ولكنها التزمت بالبسملة، ثمّ نص الرسالة، ثم ختم الرسالة وإحاقه بالحمد والصلاة على النبي، والتذييل باسم الكاتب وتاريخ الكتابة.

- الرسائل الإخوانية شمل التراسل في العصر العباسي الرسائل بين الإخوة، والأصدقاء، في المناسبات الاجتماعية من تهنئة أو تعزية وعتاب، أو الهدايا، أو المدح والهجاء، أو الشكوى والشوق، أو الوصف، أو الاستعطاف وطلب المنح، وقد التزمت هذه الرسائل من الناحية الفنية بخصائص الخطابة ذاتها التي التزمت بها الرسائل الديوانية.

ج- المناظرات المناظرة هي حوار بين فريقين مختلفين في وجهات النظر حول موضوع ما، يحاول كل منهما إثبات وجهة نظره، وإبطال وجهة نظر خصمه، وكان لهذا الفن جذوره في العصر العباسي، لكنه نما وتطور بتطور النثر في العصر العباسي؛ لكثرة الصراعات والنزاعات السياسيّة والأدبيّة والفكريّة، ومن أبرز هذه المناظرات مناظرات المعتزلة خاصّة الأشعرية. ولقد تأثرت المناظرة بالفكر المعتزلي، فكانت جدلية يغلب عليها الفكر الفلسفي المنطقي، رغم بساطتها، وقد تعددت موضوعات المناظرات، فكانت كلاميّة ونحويّة وفقهيّة ونقدية وسياسيّة، ووردت في عديد من الكتب، ومن أمثالها ما أورده الجاحظ من مناظرة الكلب والديك في كتابه الحيوان، ومن أشهر المناظرين في العصر العباسي أبو هذيل العلاف وبشر بن المعتمر وغيرهما كثير.

د- المقامات المقامات فنّ نثري ظهر فقط مع تطور النثر في العصر العباسي، خلال القرن الرابع الهجري، على يد بديع الزمان الهمداني، ولكن الهمداني استفاد في إنشاء هذا الفن وتطويره من العديد من الأعمال الأدبية السابقة، كأحاديث ابن دريد التي رواها أبو علي القالي في كتابه الأمالي، وحكايات الجاحظ عن البخل والبخلاء وأشعار الكدية. وتعرف المقامة بأنّها بناء حكايتي أو قصصي، يحكي قصة من القصص التي تعكس تغيّر الكثير من القيم الأخلاقية في العصر العباسي، وتُطرح بأسلوب أدبيّ مسجوع متأنق في اختيار الألفاظ وإبراز المعاني، ويستخدم فيها الحوار والسرد جنباً إلى جنب بما يضيف إليها نوعاً من التشويق، مع المزاجية بين الشعر والنثر الذي يعكس قدرة كاتبها الأدبيّة واللغويّة، وتتضمّن كلّ مقامة راويّاً هو عيسى بن هشام، وبطلاً هو أبو الفتح الإسكندريّ في مقامات الهمداني، ولدى كاتب آخر من كتاب المقامات هو الحريري، يبرز الراوي الحارث بن همام، والبطل أبو زيد السروجي. ومن أبرز مقامات الهمداني وأكثرها انتشاراً المقامة البغدادية.